أمـــا بعـــد

اسم الكتاب: أمـا بعـد
اسم الكاتب: ندى عبد ربه
تدقيق لغوي: شيرين عابدين
تصميم الغلاف: مروة صلاح
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – 2020 م
رقم الإيداع: 2020 / 19348
الترقيم الدولي: 0 – 02 – 6852 – 977 – 978

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

أمّـــا بعـــدُ

ندى عبد ربه

للنشر والتوزيع
Arabic Library

لمن أحبَّ فأصاب قلبه

ولمن أحبَّ فأصيب قلبه

"أمَّا بعدُ" يبدأ معها كل شيء،

وقد ينتهي بعدها أيضًا!

ربما أسقطتَ شعورًا هنا يومًا ما،

فابحث عنه في رسائلي لعله في انتظارك لتحييه!

تُحفظ الأجساد بتحنيطها،

وتُحفظ المشاعر بكتابتها في رسائل!

إهداء إلى:

روح أبي الطاهرة الأجمل من أن يبقى فى هذا العالم، الذي كان وسيظل رجلي وشاعري الأول، فعرفت الغزل معه وتجرعت منه حبًّا يكفيني حتى أجتمع به مرة أخرى...!

أهديه بيتًا من أشعاره:

يا غائبًا لن يغيب أنت البعيد القريب

غبت عن عيوني لكنك ستظل دومًا الحبيب

أشرف عبد ربه

*****

أمي -أطال الله عمرك!-، يحتاج القطار إلى قضيبين كي يسير، أنتِ القضيبان!

الرسالة الأولى

أمَّا بعدُ،

إن كنت تحبني فمَيِّزْنِي، فالمساواة في الحب ظلم، اختصر الوجود فيَّ، اجعل جميع مساراتك نهايتها عيناي، غيِّر التقويم واجعل ميلادك يوم وقعت في حبي، شَكِك بالمُسَلمات وانكر اعترافَك بأي أنثى غيري، استخدم المعجزات كي تعيش معي إلى الأبد، عَمِّر بتفاصيلي الصغيرة منزلًا في أقصى الغابة لنسكن فيه معًا، اكتب على كل حائط فيه عبارة حب وحاوطني بعشقك، اجعل غيرتي عليك النار التي ستشتعل دائمًا لتُدفئنا ليلًا، جُب العالم وأنت في حدود ذراعيَّ، امنحني جميع الحقوق فيك، فأنا أحق بابتساماتك، نظراتك، همساتك، جنونك، عنفوانك، تذمرك، انهيارك، أنا أحق بك؛ فإن كنت تحبني؛ فلا تمل من حبي لك بهذه الأنانية!

الرسالة الثانية

أمَّا بعدُ،

أخبرني كيف الأحوال بدوني؟ هل استطعت أن تتخطاني أم ما زلت عالقًا في ذكرياتك معي، قد سمعت مؤخرًا أنك تسكن الماضي ولا تنفك تبكي على الأطلال، تبحث عني في جميع النساء، مُمنيًا نفسك بأنك قد تجدني في إحداهن أو أقلها ستساعدك في حرب نسياني التي علقت بها مع شبحي الذي لا يرحم، يطاردك في كل مكان، كل وقت، كل عطر، كل صوت، أنا موجودة في جميعهم، كلما قاوَمتَنِي أردتَني أكثر، كلما حاولت أن تنساني بتلك الأخرى ناديتَها باسمي، كل ما هو دوني ما هو إلا تشتت، وحدي من تمتلك مفتاح راحتك وقلبك، ولكنني قذفت به في النهر دون أدنى ندم وجئت بلا شفقة أسأل عن أحوالك!

الرسالة الثالثة

أمَّا بعدُ،

كيف حالك أيها المجهول؟

أشعر أنني أود أن أكتب إليك اليوم، الآن تحديدًا، لا أعلم ما سأقول، ولكنني أشعر ببعض اللطافة، وثمة شيء بداخلي يخبرني بأنك سببها، ربما تكون سعيدًا الآن، ولم تستطع روحك أن تسعد بدون نصفها الآخر، فأضافت لمستها السحرية على ليلتي...

أشعر بطيفك معي الآن، نعم إنك هنا، فأبتسم تلقائيًّا كالمجنونة، أكاد أسمعك وأنت تتغزل بي، تسخر من تسريحة شعري العشوائية، ثم تداعبه فتزداد عشوائيته، فأضحك وأنا أتخيلك هائمًا في تلك الضحكة، مؤكدٌ سوف تحبها، كما ستحب غروري هذا، فالرجل يعشق أن تكون أنثاه على قدر كافٍ من المعرفة بجمالها!

أشعر أنك تفكر بي الآن كما أفعل أنا، وأتمنى أن يلهمُك القدر أن تكتب إلى عن هذه اللحظة حتى نشاركها عندما نلتقي، أن تحتفظ

بتفاصيل الحكاية لي، وكم كانت الرحلة شاقة بدوني، أشعر أنك تشتاق إليَّ وتتمنى أن تشاركني هذه الليلة، أشعر بروحك التي أهلكتها الوحدة وتريدني لأحييها من جديد!

ماذا لو كنا نستمع إلى الأغنية نفسها الآن، ماذا لو يتخيل كل منا أنه كتب كلماتها إلى الآخر، وأن لحنها سيصبح لحن حياتنا معًا، وأننا حين نلتقي سوف نستمع إليها معًا، ثم تجذبني لأحضانك وتراقصني عليها، وعندما تنتهي نعيدها مرة أخرى كي لا تنتهي حالة السعادة التي وضعتنا فيها!

أشعر بعد أن انتهيت من الكتابة إليك الآن أن لقاءنا قد اقترب، دُمتَ سالمًا حتى ألقاك!

الرسالة الرابعة

أمَّا بعدُ،

فحين رأيتك للمرة الأولى، تمعنت وأطلت النظر، تفحصت ملامحك، درست تكوينك، تمهلت في منحنياتك، حفظت تفاصيلك، تلذذت بمفاتنك، نحت جسدك في مخيلتي، ثم آمنت بك وكفرت بغيرك!

ثم استبدلتك بكلمة أثنى من اللغة، فتحولت إلى راهب في غيابك، فليس ثمة من بمقدوره بعثرتي غيرك، رائحتك تتحرش بحواسي وتسيطر على جوارحي لتكون كالمخدر الذي يأذن لعينيك بالولوج إلى قلبي مباشرة فتعمل كعنصر إلهاء محترف كي تترك الساحة لشفتيك؛ بطل الحكاية وجميع حكايات الحب التي نعيشها معًا، فهل من الممكن أن أشيح بنظري عنهما ما دمت حيًّا!

شفتاك نار تحرق وتحترق، ترغب بمن يشتهيها، ناقصة ولا يكملها سوى شفتي، فدعيني أغزوكِ بكل ما أوتيت من قوة،

وأقتحم أسوار الخجل، وأبني أسوارًا جديدة تحيط بنا نحن بلا ثالث، لأجوب العالم ما إن أتحسسك من مفرق شعرك حتى أسفل قدميك، فأقر حينها بأنكِ العجيبة الثامنة على الأرض، وقِبلة الحب الأبدي.

حين رأيتك للمرة الأولى قررت أنها لن تكون الأخيرة!

الرسالة الخامسة

أمَّا بعدُ،

فمن منَّا بلا وجع، بلا غصة في قلبه لا تفارقه حتى في أسعد أوقاته، كندبة في الوجه، مع كل نظرة في المرآة يراها، ليس فقط بالعين، بل بالقلب، يشعر بوجعها كأنها جُرحت للتو، وإن حاول إخفاءها سيبرزها أكثر، كذلك وجعك، إن تعمدت نسيانه فسينتقم منك شر انتقام ويحفر نفسه بذكرياتك كالوشم، حتى الوشم يمكنُه أن يُزال بالكي، أما عن بعض الأوجاع فإنها تكوينا يوميًّا ولا تتلاشى!

ربما يجب أن يُسمى الإنسان بوجعه وليس باسمه، ولكن ترى هل نُلقب بالوجع الذي تسببنا به أم بالذي وقع علينا، فجميعنا سيئون في قصة أحدهم، حتى وإن أنكرنا أو ادعينا عدم الانصاف في رد الوجع.

وبما أن لكل قاعدة شواذ، فإن لُقب الإنسان بوجعه، فلا بدَّ من وجود من لم يُلقب بعد، من لا يزال نكرة، ولكنها مسألة وقت، فآجلًا أم عاجلًا، أردت أو لم تُرِد ستنخرط في دائرة الوجع، ويلامس الحبر صفحة ألمك البيضاء، فترحب بندبتك الجديدة قائلًا "من منَّا بلا وجع"!

الرسالة السادسة

أمَّا بعدُ،

فلقاؤنا الأَول كان استثنائيًّا كَـعادتِنا، جاءَ بِـلا ترتيبٍ كَـتعويضٍ من القدرِ عمَّا جابهْناه.

سرتُ تجاهَكَ على إيقاعِ دقاتِ قلبِي المُضطرب ولكنَّ الله ألهمَنِي الثبات، كنتُ كـلاجئةٍ جابَتْ بقاعَ الأرضِ حتى وجدتُكَ وطنًا، تَنهدتُ فرحًا وتمنيتُ لو توقفَ الزمانُ لأستمتعَ بـنشوةِ وُصولي هُنا، في لحظةٍ أبعدُ ما تكونُ عن الواقعية!

في المقابل كنتَ أنتَ، وآه منكَ أيُها الصامت، ولكن هذه المرة كان صمتُكَ أمتع ما تحدثْتَ بِه على الإطلاق، سرتَ تِجاهي كما لمْ تفعلها مع غَيري من قبل، بـابتسامةٍ وهميةٍ كالمغناطيس الذي لا مفرَ من الانجذابِ إليه، بقلبٍ يشتعلُ شوقًا وجسدٍ ينتفضُ سُكونًا إثرَ اقترابِي منكَ، حتى أصبحتُ هُنا.

انتقلنا معًا بعدها مباشرةً إلى الحدثِ الأبرز في هذا اللقاء، إلى عينيكَ ومصدر تَشتيتِي المُفضل، فـأُقسمُ أنني لم أعِ كلمةً من حديثِكَ، فقط كنتُ غارقةً فيهما، حتى ضحكتَ، حينها نجوتُ من غَرقِي ووجدتُ سببًا كي أعيشَ من أجله!

اختفت رهبةُ البدايات سريعًا، ومرَّ الوقتُ بـلطفٍ وسلاسةٍ متناهيةٍ، فكانَ مستمتعًا بِنا أكثر منَّا، وتوسلَ إلينا كي نبقى أكثر، ليتَنا انْصَعْنَا إلى طلبِه وبقينَا حتى نهاية العمر، فما فائدة الدقائقِ التي تَمُر من عمري وأنا لستُ معكَ، وأنا لا أشعرُ بـهذا الأمان!

وأما عن لقائِنا الأول فأصبحَ بديلًا لكلمةِ الفرحة في قامُوسي مِن الآن!

الرسالة السابعة

أمَّا بعدُ،

يا لها من مزعجة تلك الأصوات التي تسفر عن نزاع عجلات القطار مع قضبانه، تجعلني غير قادرة على النوم بهدوء على كتفك، ولكن ما إن تتلاقى أعيننا أنسى كل ما حولي كأننا خلقنا معًا بلا شريك على الأرض!

وها نحن نرتحل معًا في هذا العالم الصغير مقارنةً بعالمنا، قاصدين مدينة الحب المصرية إلى أن يحين القدر ونقصد تلك البعيدة البندقية، بعد قليل سوف تستقبلنا الإسكندرية باسطة ذراعيها مع انحناء بسيط في الرأس، كمارد ينتظر إشارة منا لتحقيق أحلامنا!

فلنخطُ أول خطوة تجاه تحقيق ذلك الوعد الذي قطعته لي، حين قررت أن تنافس مارد أحلامي، أن تكون اليوم ماردي، لأسكن ذراعيك على هذه الصخرة التي شهدت آلاف قصص الحب، ولكنني أقسم إن كانت ناطقة لشهدت بتفردنا عن جميع العاشقين،

ليستقر رأسي في موقعه المفضل على الإطلاق، على صدرك العريض، تطوقني أنت بذراعيك وتحكم القبضة، كأنك تريد أن تخبئني من هذا العالم، كي أكون لك وحدك، تداعب نسمات البحر وجوهنا، لأستنشق شهيق حب مليئًا بعطرك ورائحة البحر، بيدي دفتري لأدون تفاصيل تلك اللحظة، هكذا تمنيت وأكثر مما تمنيت، وهكذا وفيت بوعدك بأن تكون من يحقق هذا الحلم لي.

أفتح عيني المرقرقة بالدموع على صوت تلك العجلات المزعجة مجددًا، لأجدني هنا في القطار نفسه صوب الوجهة ذاتها لتحقيق الحلم ذاته، ولكني في الواقع ها هنا وحدي!

الرسالة الثامنة

أمَّا بعدُ،

فكيفَ حالكِ يا لَعنتي اللطيفة! يا وجعِي الذي أتلذذُ بِه، أرجُو أن تكونَ بخير، فحينها سأكونُ أنا بِك أيضًا بِخير، دائمًا ما كُنت أسطُر بِحروفِكَ قصيدتي ثُم أمزقُها ويتعالى نحِيبي عليها، أكرهُ الماضي منكَ، وأعشقُ المستقبل بك، أجهل مصيري بِرفقتِكَ، وأضيع بدون صُحبتكَ، تَعصفُ بي فأَتمسكُ بكَ أكثر، تستطيع أن تكونَ الداء والدواء، تشبه أنينَ النشوةِ، حَولتَنِي بأنانيةٍ إلى مقطوعةٍ أنتَ عازفُها الوحيد، غيرتَ تكوين نفسي البشرية من كارِهة الاستبداد للمُستمتِعة به، قُلتَ لي إن حُبَّكَ علةٌ، فأجبتُك بأنني سأُشفَى بِعلتِكَ!

الرسالة التاسعة

أمَّا بعدُ،

فها هو دفتر يومياتي، أجلس أمامه بشموخ كعادتي، شموخ ينعكس على ما أدونه فيه دائمًا، حتى اليوم، سأدون هزيمتي وأسجل اعتراف رجل مهزوم، ما زلت أستنكرها فذكرت لفظ رجل دون تخصيص دون أن أذكر أن هذا الرجل أنا!

بجانب دفتري أرى شمعةً تضحي بنفسها كي أراها، كما فعل من أجلي كثير من النساء، أراها تنهار جزءًا تلو الآخر تمامًا مثلي حينما رأيتك، لم أقرر حبك ولكنه حدث، خاض صراعاتي النفسية ونجا، استنفدت ضدك جميع دفاعاتي ولم أنجح في الثبات أمام عينيك ولو للحظة، تلك التي أخوض فيها أصعب معاركي على الإطلاق ولكنها الأمتع!

أحببتُ قبلك ولكنه لم يكن حبًّا، ولم أعلم ذلك حتى جئت أنتِ، أنتِ التي لم أتعمدْها ولكنها تَعمدَتنِي، أنتِ صنعتِ بِي فرقًا فرقَّ حالي، أنتِ المُختارة!

أكتب إليك الآن وأعترف بهزيمتي أمامك فالنصرُ لك يا سيدتي والعشق لي!

الرسالة العاشرة

أمَّا بعدُ،

كنتُ قد عقدت النية أنني لن أكتبك مجددًا، فقد اعتزلت قصائدي حروفك، كما اعتزل قلبي هواك، أو على الأغلب كما ظننت؛ فما توقفت عن حبك إلا لأكرهك، يا لي من حمقاء، هل الكره خلاص أم أنه تورط جديد متموه كي يسمح لنفسه باحتلال جزء من مشاعري أيًّا كان شكله، متباهيًا بتحقيق مبتغاه! في النهاية، أنت هنا في عقلي قبل قلبي.

أعتذر إلى نفسي يوميًّا لأنني قد أقحمتها مع وغد مثلك، لأنني سمحت لآفة وجودك بالتأصل في أرضي، بإعطائك الحق ولو للحظة في تعكير صفوي، أعتذر إلى فراستي التي أغفلتها عنك وجعلتها تتركني أكرهك، أعتذر إلى أوراقي التي لطختها مرة أخرى بحروفك، وأفسح المجال لكرامتي كي تضعك في الوضع الذي لا تليق بغيره، كي تُعيدك نكرةً كما كنت، فإنك تبرع فيه ولا ترقى سوى لكونك لا شيء!

الرسالة الحادية عشرة

أمَّا بعدُ،

قد كانت الحياة كلما ضيَّقتْ حدودها عليَّ أترك كل شيء وأذهب إلى صديقي الوفي الذي لا يمل من الاستماع إليَّ، وعلى عكس العامة كان يُجيب جوابًا يُرى لا يُسمع فحسب، يمتص ثوراتي فيحولها إلى موج هادئ يحركه نسيم عليل يُشفيني ويُطفئني رؤيته!

أوقفت تاكسي وأخبرته بعنوان مكاني المفضل، ولكن لسوء الحظ أو ربما لحسنه لا أعلم، علقنا في الازدحام، فقرر السائق أن يسلك طريقًا آخر كي أصل إلى وجهتي، لكنه لم يكن يعلم أنه سيمر بمكان لقائنا المعتاد، هنا محل أفراحي التي باتت أوجاعي!

لم أقدر أن أمر عليه مرور الكرام، ففي هذا المكان ذكريات تجبرني على التوقف والانحناء إليها، هُنا أصل الحكاية، طلبت من السائق أن يتوقف وأخبرته بأن ينصرف، نزلت واقتربت في حين كانت تعتري جسدي رعشة مهيبة إثر الذكريات التي احتضنتني فور

رؤيتي، ها هي مقاعدنا يكسوها التراب، كمن حَرَّمتْ على نفسها أن يجلس عليها أحد من بعدنا، كنا نجلس هنا بالساعات غافلين عمن سوانا، آه كم تحرقني لفظة كنا، كم يعذبني زمن الماضي الذي بتُّ أستخدمه عندما أتحدث عن شيء يخصنا!

جلستُ في مقعدك أنت، كأنني أتحايل على القدر بأن يجمعنا شيء مرة أخرى حتى وإن كان مجرد مقعد، حينها طلبت مني دموعي أن آذن لها بالانهمار، ولكنني رفضت وأقنعتها أن الموقف ليس مناسبًا، فكُل ما كان هنا كان فرحًا وسرورًا وهذا ما سيغدو الآن!

حتى وإن أصبحتَ ذكرى فإنك ما زلت هنا، حتى وإن كانت النهاية ليست موفقة فإن الرحلة كانت ممتعة، حتى وإن لم نعد معًا فإنني لن أنساك!

الرسالة الثانية عشرة

أمَّا بعدُ،

ففي ظل الأنباء المتداولة عن عاصفة شديدة تجتاح البلاد انتابتني أنا عاصفة أخرى، ولكنها كانت مختلفة وربما فريدة من نوعها، فعلى غير العادة نظَّمت جوارحي المبعثرة كليًّا، وروى مطرُها صحراء روحي الجرداء، أنار برقها طريقي الحالك، وكان رعدها كألحان تشدو بقلبي فرحًا!

كان ذلك أنت، عصفتَ بي كي أهدأ، وبينما كان الكون ينتفض كنت أنا ساكنة ومستكينة، لأعهد الأمان للمرة الأولى، لأرى أن جروحي من البداية كانت كي تداويها، فلا تختفي الندوب ولكنها تتجمل بك، لتكون حديثي بعد بَكَمٍ دام لسنين، لتأتي في ليلة كل ما فيها كان خاطئًا وتصبح الصواب الوحيد، فأطلبك من الله سرمديًّا في حياتي وما بعدها!

الرسالة الثالثة عشرة

أمَّا بعدُ،

ففي إحدى ليالي ديسمبر الباردة، بينما كنت مستلقية على فراشي أتشارك السحر مع موسيقاي الملهمة المفضلة، قررت أن تكون الليلة هي ليلة الصمت الأخيرة، سوف أطلق العنان لكلماتي غدًا، سأحرر لساني من أغلاله المُكَبل بها منذ أكثر من عام!

أمسكت هاتفي وأجريت الاتصال المفضل لي على الإطلاق، أجبت بصوتك الذي يذيب قلبي فنسيت للحظة ما سأقوله لك، نسيت أيضًا ماهيتي، ثم استجمعت نفسي وطلبت منك أن نلتقي غدًا، فأجبت بالموافقة، وأنهينا الاتصال على وعد بلقاء في مكاننا المعتاد في تمام الساعة العاشرة صباحًا!

جاء الصباح وحان موعدنا، ولكنني في الحقيقة هنا قبل الموعد بأكثر من ساعة، كي أهدئ من روعي، وعلى عكس المتوقع في يوم كهذا كنت عادية، أرتدي ثوبًا هادئًا مع ربطة شعر تزيح خصلاتي من

على رقبتي؛ فلن أستطيع تحمل عبء أي شيء أكثر من الكلمات التي بداخلي مهما كان بسيطًا، أردت ألا يلفت انتباهك أي شيء بي اليوم سوى كلماتي.

فور وصولك سألتك عن أكثر شيء أحبه في هذا العالم، فبدت عليك بعض علامات الدهشة، فابتسمت وقلت لك أجب بدون سخرية إنه موضوع جاد، فقلتَ ضاحكًا: "الموسيقا"، فقلتُ لك لماذا أحبها؟ قُلتَ تأخذك إلى عالم آخر أجمل، فأكملتُ، أتعلم لأي مدى أحبها؟ قلتَ أظن أنك قد تستغنين بها عن العالم، سكتُ هنيهة ثم أردفت قائلةً "كل إجاباتك سوف تصبح صحيحة ما إن استبدلناك بالموسيقا"!

الرسالة الرابعة عشرة

أمَّا بعدُ،

فحين قررت الكتابة عنكِ، هربت مني جميع حروفي، فهي مشاكسة مثلُك تمامًا؛ تتلاعب بخفة على أوتار قلبي، أو ربما لأنها ستخجل من فكرة وصفك!

تعاليتِ أنتِ عن التشبيه، فلا مثيل لك ولو بنسبة ما، فأين أجد من تستقر إليها روحي، من تفهم صمتي، من تضمد جروحي في لحظة، من تعزف لحن ضحكتي، أين أرى جمال العالم سوى في عينيكِ!

أتلعثم الآن كمن يتعلم الحديث لأول مرة، فهيبة جمالك وجلالك يبعثرونني كحبيب في اللقاء الأول، تُرى هل سيكون هذا النص كافيًا كي أعبر لك عن مدى امتناني للكون بأن يهاديني إياكِ، هل ستدركين من خلاله أنني أحبك حد اللاحد!

لم تكن هذه الروح على ما يرام قبل مجيئك، ولكن فور وصولك هنا كُنتِ بمثابة الترياق، أسافر إليك أميالًا دون التفكير ولو لحظة في خذلان في نهاية الرحلة، الحل دائما أنتِ، والصعب في حضرتك هينٌ، تشابكت روحي بكل تفاصيلك، وزرعتِ بداخلي نبتة تُروى في كل مرة تضحكين فيها!

الرسالة الخامسة عشرة

عزيزتي قاسية القلب!

أمَّا بعد،

فأنا بدُونِك دُون كلِّ شيء، كَواني لهيبُ الشوقِ، أسير بلا دربٍ، أعيش بلا قلبٍ، مُذ تركتِني واليُتم يُخيم على حياتي، كطفل استيقظ ليجدَ نفسه وحيدًا بلا أهلٍ ولا مأوى وَسط أشلاء الحرب، حرب كنت أنا أسيرها الوحيد، حكمت عليَّ بالدَفن حيًّا في مقبرة حُبكِ، أتجرعُ مرارَ البُعد عنكِ، تُكبلني أغلالُ الذكريات، تنتقم من رُفات!

أما أنتِ، أيتها الوحيدة التي استطاعت استفزاز رُجولتي، التهمتِ قلبي بنظرةٍ، حرضتِ جميع جوارحي عليَّ لتقودني تجاهكِ، يا من عرَفتُ معها من أين يستمدُ هذا العالم حنانه، كنتِ لي جنةً بعد عذاب دام لسنين، يا من نجَحَت في إحيائي من جديد، انتَشلْتِني من الموتةِ الصُغرى لترميني إلى الهلاكِ الأعظم!

"بلى، أنا مشتاقٌ وعنديَ لوعةً"، سألتُكِ بالله أن تُحرريني، حَرريني وكَبْليني بذراعيكِ، دَعيني أرتشفُ الحياة من شفتيكِ، لتحتل أنفاسكِ رئتيَّ، لأُعاتبك على هجرانك عتابًا طويلًا يدومُ لجزءٍ من الثانية لتضع نظرتُكِ الحانية حدًّا له، لأنغمس في أحضانكِ أعمق وأعمق، لأَصهركِ فتكوني جزءًا مني، لتُصبحي أبديَتِي، فيُقرر لساني أن ينطقَ للمرة الأولى بدون أوجاع قائلًا: "أمَّا بعدُ، فأنا أحبكِ!".

الرسالة السادسة عشرة

أمَّا بعدُ،

فإني أكتب إليك الآن في ساعة متأخرة من الليل، حيث هدأ العالم عدا قلبي الصاخب إثر شدة اشتياقه إليك، لا تنتظم دقاته ولن تنتظم حتى أراك، حينها فقط سأهدأ لأجلس أمامك بلا حراك، أنظر إلى عينيك دون الإحادة عنهما، حيث أجد السحر والعالم الآخر الذي يجمعنا، أتمعن في تفاصيلك، أحفظ تقاسيم وجهك كأنها خارطة طريقي، أعلم أيًّا منها كان بسبب إضحاكي لك، وأيًّا منها كان لغضبك عليَّ عندما ثارت غيرتك المفرطة!

أغمض عينيَّ هنيهة وكأنني أحتضنك، وأفتحها لأجدك تبادلي تلك الضمة الخيالية، ثم تأخذ يدي بهدوء بين قبضتيك الكبيرتين فتسري قشعريرة بجسدي ممزوجة بلذة مصحوبة بخجل، حينها فقط أشيح مقلتيَّ عن مقلتيك، وأخفض رأسي لتنقذني خصلات شعري التي تخبئني عنك، فتسارع أنت بإزاحتها وحجزها خلف أذنيَّ، لتهيم

في ابتسامتي البلهاء التي تنفرج بها شفتاي بلا رجعة ما دُمت أمامي، ثم يغلبك الشوق بعد كل هذه السيطرة على ذاتك العاشقة، فتضمني إليك لتستمع بنفسك لدقات ذلك المشاكس الذي يقر بأنه لن يهدأ سواء في غيابك أو حضورك، ثم تحملني بين ذراعيك فتترك قدماي الأرض لأحلق بروحي حتى السماء السابعة، ثم أنظر إلى عينيك من مستوى أعلى هذه المرة، فأرى لمعة الحب وبريق السعادة يجتاحهما، فأنخفض لأداعب أنفك بأنفي، لنضحك بعدها معًا، ويضحك معنا العالم فرحًا بصغيريه العاشقين!

...

ألن تأتي!

الرسالة السابعة عشرة

أمَّا بعدُ،

فقد تهالك الجسر وسقط!

بداية محزنة للنص ولكن أفسحوا المجال للأشد حزنًا، من المستحيل إعادة ترميم هذا الجسر، وكلمة المستحيل ليست للمبالغة ولكنها وصف دقيق موجع للحقيقة، فكيف وما زال مقصدي تلك الضفة البعيدة، ضفةٌ خاوية، بور لا تُزهِر ولن تُزهر بها أي أزهار وبالأخص أزهاري، وبالرغم من ذلك تُغريني باللاشيء الذي فيها، ربما أود إنقاذها؟

ولكن هل من الطبيعي أن أكون سوية التصرف بعد رغبتي في إلقاء نفسي إلى التهلكة لإنقاذ ميت! ميتٌ قُتلت روحه ذات مرة وعاش جسدًا هائمًا يقتل كل من يقترب منه، ويُقتل في كل مرة يَقتُل فيها، اتخذ رد الفعل العكسي للأوجاع، تحول من مجني عليه إلى جانٍ بشع، يرفض فكرة البعث من جديد، متحججًا بعمق جراحه!

لم أتمسك بكل تلك البشاعة، أأمتص سُمَّك لتحيا أنت وأموت أنا، أأكون فعلًا ولا تكون ردًا للفعل، أأصير بيضاءك وتبقى أَسْودِي، أأكتب الرواية وتمتنع عن وضع نقاط الأحرف، أأبني هذا الجسر بيننا لتهدمه أنت في كل مرة، أأكتب لك هذا النص وتؤثر أنت الصمت!

الرسالة الثامنة عشرة

أمَّا بعدُ،

هل وقعت في حبها يا صديقي!

لم أقع في حبها بل وقعت في حب نفسي بجانبها، كأنني لم أعرف عكس كلمة السعادة في حياتي، وددت لو تحدثت معي لسنين متواصلة، شعرت أنني وجدت حجر الأساس لتعمير صحراء قلبي حين وجدتها، وأنني اكتشفت مركز جاذبية الأرض عندما نظرت إلى عينيها، وأدركت أن السحر يقف عاجزًا أمامها فالحكم للأقوى وبالطبع كان جمالها الأقوى والأقوى، كما لو أن الطبيعة ممتنة لوجودها عليها، شعرت بكل هذا حتى ضحكت تيقنت حينها أنني لم أقع في حبها بل وقعت فيها!

الرسالة التاسعة عشرة

أمَّا بعدُ،

اقترب هنا واحتضني، احتضني واعتصرني بين أضلعك، ثم أمهلني لحظةً لأستكين وأستوعب أنها ستكون الملحمة الأخيرة بيننا يا عزيزي، ستكون آخر مرة تختلط فيها أنفاسنا، آخر مرة أرى فيها الكون بناظريك، فقط أتمنى أن أمتلك آلة الزمن لأوقفه عند هذه اللحظة التي أغوص في أعماقك فيها، تبتلعني كما تبتلع السماء شمسها عند الغروب، تشعل بداخلي نارًا لا يكفيها محيط لإخمادها ما إن تقبلني، أكون كالفرس الجامح بدون لجام إذا غبت عني، وما إن تقترب أهدأ وأعلن خضوعي!

ولكن سلطة القدر اللعين ستفرقنا، بعد أن استنزفت جميع مقاوماتنا لنجابهها انتصرت علينا، معلنةً فعلتها المشينة بدون خزي، لتفرق من أقسموا على البقاء، لتحكم بالإعدام على أنوثتي التي لن

ترى النور بعد الآن فإن لم تكن لك فوالله لن تكون لغيرك، لتسلبنا أرواحنا تاركةً أجسادنا هائمةً بلا أي هدف!

ولكن حتى إن كانت هذه لحظة الوداع فلنجعلها متفردةً يا عزيزي، بلا دموع بلا أوجاع، ليكن وداعنا احتواء كلحظة اللقاء.

الرسالة العشرون

أمَّا بعدُ،

أريده أن يعلم جيدًا، أنني الحبيبة والعشيقة والزوجة والأم والأخت والابنة والصديقة ورفيقة الدرب.

أريد أن يعلم أنني أمانه من شرور هذا العالم، وأن حضني ملاذه إن شعر بالوحشة، أريده أن يعلم أنني الباقية وإن رحل الجميع، أنني الدائمة في كل الأوقات، أريده أن يعلم أن قلبي لن ينبض لرجل سواه.

أريده أن يعلم أنني أعشق أن أتنقل فوق تفاصيل يومه بكل سلاسة، أن يوقظني من نومي لأضع حدًّا لحيرته أيرتدي القميص الأسود أم الأزرق! أريده أن يعلم أن شغفي لا ينتهي ما إن بدأ في شرح كيفية عمل تمارين البطن، أن يشاركني أتفه مشاكله التي تعد قضية رأي عام بالنسبة إلي، أريده أن يعلم أن ذاكرتي لا تتسع سوى لتفاصيله!

أريده أن يعلم أنني أريده معي أربعًا وعشرين ساعة سبعة أيام في الأسبوع دون ملل، أن الوقت الذي يمر في غيابه لا أحتسبه من عمري، أن حياتي لم تبدأ إلا في اليوم الذي دخلها.

أريده أن يتعلم الشعر ليغازلني به، أن يشاركني مقطوعاته المفضلة، أن يراقصني بكل رومانسية ويحملني لأحلق في سماء عشقه، أن نسكر من فرط الحب لنسافر لعالم نحن سكانه الوحيدون.

أريده أن يخبرني بأن ضحكتي هي السر وراء ألحان شوبين، وأن عينيَّ درتان مكنونتان يستغني عن كنوز العالم بنظرة منهما، وأن شعري المطبوع بسواد الليل هو مفهوم الجمال بالنسبة إليه.

أريد أن نختصر لغة حديثنا في كلمة واحدة وهي "أحبك!".

أريده عوضًا عن قسوة الأيام، أريده أبًا، وأخًا، وزوجًا، وحبيبًا، وأنا سأكون له كونًا داخل الكون.

الرسالة الحادية والعشرون

أمَّا بعدُ،

فقد كانت بسيطةً ولكنها مميزةٌ، قاسيةً بطريقة حنونة، تتواضع للغرور، تغفر قبل طلب العفو، تَتقوى بِنفسها، كانت أنثى بكل طفولة، عاديةً بكل استثنائية، جميلةً على طريقتها، فكان الجمالُ جمالًا وكانت هي!

كانت دائمًا ما يشغلها احتياجات الأشياء، وتسأل نفسها تُرى لو كان الحب إنسانًا فهل لهُ منْ يُحبه! هل يجدُ الأمان من يُشعرَه بالاطمئنان، أم إنْ خَارتْ القوة فهل مِنْ مُعين! كانت تشعر بالمسؤولية تجاهَهم، كأنها أصلُ الشعور، خُلقتْ لتكونَ لِمَنْ يحتاج، كانت المنقذ!

كانت بارعةً في ضم الآخرين، تُعطي كلًّا منهم جزءًا من روحها قبل أن يغادر ذراعيها، تَسَعُ روحه إن ضاقت بها الدنيا، تجعله يستكين على لحنٍ من دقات قلبها، تأخذُ شهيقًا عميقًا ليمتص ما

بداخله من سلبية، فيخرج من قبضتها نقيًّا حالمًا وديعًا، كانت ملاذَهم، كانت تمتهِن الحروف، وترفضُ فكرة استعبادها، فحُروفها أبيَّةٌ مثلها، لا تأتي كلما استجْدَتْها بل كلما شَعرت بها، تتعاونُ معها لتصوير كل ما هو رائع، وتتحايلُ عليها فتضيف بعضها وتزيل أخرى لتحول الحربَ إلى حبٍّ، كانت خيالهم.

كانت هذه أنا!

الرسالة الثانية والعشرون

أمَّا بعدُ،

أستطيع الاستغناء بك عن العالم، لا يوجد أصدق من هذه الجملة ولكنها في النهاية جملة مكونة من كلمات تخرج من فم القائل كعصافير تحلق حتى تجد مستقرها على أعشاش أذن المستمع فيصاب على إثرها بنوبة من عدم الإدراك للواقع الأليم تشبه تأثير المخدر، ليستفيق بعد فترة فيدرك أنه مُعلق في اللاشيء، يستنتج بعدها أن حقيقة الأشياء تنتهي حينما تُقال، وأن الفعل لا يحتاج إلى كلمات، وأن العصافير تُهاجر من عش إلى آخر، وأن من يريد البقاء يتخذك وطنًا بفعله لا بحديثه!

الرسالة الثالثة والعشرون

أمَّا بعدُ،

فإنها ليلة الميلاد، حيث ينفجر العالم بطاقة عارمة من الفرحة والبهجة، ولكنها ما زالت ضئيلة مقارنةً بتلك التي أشعر بها لأنك بجانبي الآن، تطوقنا أجراس الميلاد، وتحملنا معها إلى الخيال، إلى مكان تشاركني فيه تفاصيل تلك الليلة التي طالما انتظرتها، إلى ناطحة سحاب أعلاها فارغ، لا نحتاج إلى أي شيء، فقط يكفينا مذياع تتدفق منه بعض الألحان لتضفي بعض السحر على لحظاتنا، تراقصني في حضرتها، يداك على خصري بكل حنان، لتتشابك يداي حول عنقك وتمتد أصابعي كي تصل إلى خصلات شعرك المهندم، فأداعبها بأناملي وأنت غارق في عينيَّ، تقص عليها دواوين الشِّعر بنظراتك، ثم يشتت انتباهك أحمر الشفاه الصاخب الذي أضعه كي يضفي الحياة على فستاني ذي اللون الأسود، ولا أعلم تحديدًا أيجذبك لون الحمرة أم شفتاي هما سبب هذا التشتت!

ثم تقترب مني وتضمني إليك أكثر لتصبح المسافة التي تفصلنا بالكاد تسمح لنا بالتنفس، ونظل هكذا عدة دقائق نستمتع بقمة جبل النشوة الذي يسبق ثوران بركان رغباتنا، ثم تقطع لحظاتنا هذه أصوات الحشود المصطفة في الشوارع، فقد بدأ العد التنازلي للعام الجديد، فنسارع للوقوف على الحافة لنشاركهم العد، وها قد جاء الرقم واحد، فينظر بعضنا إلى بعض في آن واحد قائلين: "كل عامٍ وأنت عامي!".

الرسالة الرابعة والعشرون

أمَّا بعدُ،

فأخيرًا وليس آخرًا، تلخصنا في تلك الجملة يا عزيزي، حقًّا لا أعلم أين نهاية المطاف، لا أنفك في وضع نقطة ثم أمحوها وأستبدلها بفاصلة، لا ينقطع دابر حبنا، نعيش كالموتى الأحياء، كمن لُعنوا بالحب ولُعنوا من الحب، بلا وجهة وبلا هدف نسير في دائرة دامية، بلا نهاية للوجع، وإن حدث وقرر أحدنا الرحيل يرحل بلا روح، يتركها هنا، لترغمه هي على العودة مجددًا واستكمال رحلة الوجع.

عزيزي، يا من تملك قلبي بكل أنانية، يا من سلمته كل جوارحي، يا من أعمى بصري عن العالمين، يا من أذاقني الأبدية في لحظات، يا من أرسى سفينتي في بحر عشقه، عد إليَّ!

عُد من دون واقع، فلم نر منه سوى الفراق، عُد خياليًّا، مترفعًا عن تلك العثرات التي أدمت أقدامنا، عُد بلا أخطاء الماضي، كمن يأتي لأول مرة، لنمزق الصفحة الأولى، لنمزق ذلك الدفتر من

الأصل فقد تهالك من كثرة الدموع، ونأتي بغيره لنكتب فيه "مساء الخير" جديدة في التوقيت نفسه، الثانية وعشر دقائق بعد منتصف الليل، لأدون ملحوظة أعلاه "أخيرًا وأتمنى أن تكون هذه المرة آخِرًا!".

الرسالة الخامسة والعشرون

أمَّا بعد،

فلطالما آمنت بالقدر خيره وشره، وحينما طال شره لم أتذمر، فقد علمت بقدوم الخير لا محالة، ومن الواضح أنه سعِد بثقتي تلك وأراد مكافأتي فأهداني إياك، لتمثل خير القدر في أبهى صوره!

اخترتك بعقلي قبل قلبي فاختيارات العقل ترجح كفتها دائمًا، بمساعدتك صارت أصعب القرارات على الإطلاق أسهلها، لا أعلم كيف لكنني حينما لامست يدَكَ شعرت أنني لا أود أن أفلتها أبدًا، حينما استطعت أن أنظر في عينيك عندما نتحدث -وقد كان سبقًا- علمت أنهما ستكونان مصب أحلامي، وعندما ابتسمت فرَّ ذعري هاربًا لتيقنه بعدم وجود مكان له في حين أنت هنا!

انتظرتك كثيرًا حتى تكون هنا إلى جانبي، كتبت مئات قصائد الحب حتى أهديك إياها عندما تأتي، وفور مجيئك مزقت جميعها لأنك تتفوق على ما بها من جمال، عاديتك كانت استثنائية لطيفة للغاية، جعلتني أدرك أنني كنت مخطئة بشأن ما أحب، وعندما رأيتك علمت أنني كنت أحبك أنت من البداية وسأحبك للنهاية.

الرسالة السادسة والعشرون

أمَّا بعدُ،

فأن تصيبك صاعقةٌ أهون من أن تتعرض للظلم، لا سيما إن ظلمك شيءٌ، فلن تستطيع منه الانتقام!

ربما نحن أحق باعتذارٍ من المسافات التي حرمتنا أشخاصَنا المفضلين في أكثرِ الأوقات احتياجًا إليهم، تلك التي جعلتنا كالغرباء في ليلةِ صيفٍ يلهو بها الآخرون ونبكي نحنُ بدون صُحبتنا، أو على التوقعات أن ينْتَابَها الخِزي وتتوارى عن رؤيتنا لما سببته لنا من ألم، كالذي اعتاد على الرقص بمهارة في عمق البحر وفجأةً اختفت الأرضُ من تحت قدميه، فلم يغرق لاختفائها بل لخيانتها لثقته وتوقعاته، أيضًا الذكريات ليست بريئةً من دم ظُلمي، حينما حبسَتْني بداخلها وقيدتني بأغلالٍ أجرها معي كالخيبات أينما ذهبت، حينما منعها كبرياءُ أنوثتها أن أكون مع غيرها.

ربما كان الأصعب في كل ذلك هو أنني لم أتخط المسافات ولم أقلع عن التوقعات ولم أتخلص من الذكريات، كنت أنا وراء كل هذا الألم، فلم يظلمني أحدهم بل كنت أنا في الحكاية الظالم والمظلوم!

الرسالة السابعة والعشرون

أمَّا بعدُ،

فأنا هنا، وأنت هناك في النصف الآخر من العالم، عالم غير مُنصف بالمرة، حتى وإن جمع الأجمعين، فإنه لم يجمعني بك بعد، لا أعلم أيختبر صبري أم يتلذذ بوحدتي! وقدري البخيل عليَّ حتى بالإشارة لاقتراب موعد قدومك أم أن اللقاء ما زال بعيدًا يبتسم بخبثٍ من بعيد كأنني ندُّه اللدود!

أنا هنا، متكئة على أريكتي، بنصف جلسة وقدمين ممددتين عليها ينتهيان بجواربي المفضلة لتحميني من لسعات البرد ما دمت لستَ هنا لتقوم بمهمتها، أتأمل تشققات السقف التي طُبعت في عينيَّ من كثرة التأمل، أطلقت العنان لخصلات شعري المقيد عادةً باعتقادٍ طفولي أنني الآن حرة وأنا غير خاضعة لقيود ربطة شعري، أفكر للمرة التي لا أذكر عددها، أيستحق الأمر كل هذا الانتظار، أأنت جدير بي، أأنا جديرة بك، أتنتظرني بالشغف ذاته، أتفكر بي الآن!

أنا هنا، أواجه العالم بلا شريك، لا أقتسم أوجاعي مع أحد، فقط يحملها عاتقي بمفرده، أقف على قمة الجبل تؤرجحني المخاوف بأنك لن تأتي، ولكنني راسخة ولن أسقط إلى هاوية أحلامي!

أنا هنا، أنتظرك لأحتسي قهوتي قبالة عينيك، لأتزود بنظراتك، لأرتوي بأنفاسك، لأستأنس بكلماتك، لأتيه بين عروق يديك، لأطرَب بنغمات صوتك، لأحتمي في تجويفك، لأتنهد فرحًا مستمتعة بلذة الوصول بعد عناء طول الرحلة!

أنا هنا، أنتظرك حتى تكونَ هنا.

الرسالة الثامنة والعشرون

أمَّا بعدُ،

فنعم أسكنك وأنت لا تعلم، أنا روح بداخلك للأبد، كالسحر الأسود ينهش عقلك وتخر أمامه قوتك، أصابتك لعنة حبي، وحلت عاصفتي على أرضك، أتيت من عالم آخر واخترتك أنت لتكون لي، قدرتي تخطت كل الحدود فإما أن أكون ملاكًا يطير بك إلى السماء السابعة وإما أن أكون مسخًا من الشيطان يجعلك تذوق العذاب أشكالًا وألوانًا.

أمامك فرصة الاختيار، ولكنه اختيار وهميٌّ، لذا فدعك من هذا الغرور وتيقن بأنك لي، فإما أنا وإما الموت يا عزيزي!

الرسالة التاسعة والعشرون

أمَّا بعدُ،

فرفعت عليَّ دعوى للخضوع لسلطة حبك بدون أي إنذار، في لحظةٍ وجدت أنني مطلوبة للمثول أمام قاضي الغرام الآمر الناهي في هذه المحكمة، وأنا المتهمة بإيقاعك في شباك العشق بنظرة عيني، جريمة لا ذنب لي في ارتكابها، وأنت المدعي الذي تطالب بتطبيق أقصى العقوبات عليَّ تطالب بالحبس المؤبد فيك ولو أنه يوجد مادة في القانون تزيد المدة عن المؤبد لكنت طالبت بها، بلا أي رحمة أو شفقة تطالب بسجني في قلبك وتملُكي، دون أي فرصة للدفاع عن نفسي، ولا تعلم يا عزيزي أن سَجني فيك هو حريتي الأبدية، تظن أنك المجني عليه وأنت الجاني فوالله ما أسرتك عيناي إلا كرد فعلٍ لما فعلته بي ابتسامتك، ولأول مرة في التاريخ يتمنى المتهَم أن يُحكم عليه بأقصى من أقصى العقوبات، حكم سيؤول بالطرفين إلى السعادة المحتومة، وها هو القاضي يحكم لصالحك وترفع الجلسة لتبدأ معها عقوبتي الممتعة معك.

الرسالة الثلاثون

أمَّا بعدُ،

فقد شردت قليلًا وبتُّ أتخيل حياتي بعد الزواج من فارس أحلامي الذي لم تصلني منه أخبار حتى الآن وأرجو الله أن يكون بخير، وطغت على تخيلاتي بعض الغرور لما رزقه الله من حظ حتى يظفر بأنثى مثلي، أنثى ستسافر به عبر الأزمان لتنتقي روائع كل عصر وتضعها تحت أقدامه، سيصبح على صوت فيروز ترقص على حافة فنجان قهوة رائحتها تكون أول شهيق في يومه، سيمسي على ألحان بيتهوفن وأنا بين ذراعيه ورأسي يحتل صدره الذي يعد مخدعي وأماني من شرور هذا العالم ليراقصني وأداعبه أنا بكلماتي، سأجعل حياته تمتاز بالطابع الكلاسيكي المدعم ببعض من العصرية، ستكون احتفالاتنا على الشموع المضيئة في حضرة "وردة" لأتراقص بانسيابية على أنغام "بتونس بيك" خاطفةً أنفاسه بأنوثتي الطاغية،

سأواجه مشاكلنا بتفكير "أوبرا وينفري" وأقتنص الحلول من عرين الأسد، سأجعل اكتئابه مفعمًا بالحيوية وأغلف حزنه بروحي الراقصة، سأكون ملجأه ولاجئته، سأكون له كل نساء العالم.

الرسالة الحادية والثلاثون

أمَّا بعدُ،

فقد لعن الله قلبي بأن وضعك فيه، اقترفت ذنبًا ذات يوم فكنت أنت كفارته، أنت خطيئةٌ ألعن عقلي كل يوم على تقبلها، لدغني حبك وسرى السم في شراييني لأموت ببطء، صوتك يذكرني بنحيبي كل ليلة آلمتني فيها، دخلت حياتي كالمحتل غير باغٍ سوى الخراب تاركةً خلفك روحي خاوية تسكن جسدي الهزيل، قتلت كل ما بداخلي من حب وحولتني إلى مسخ ملعون بك، ولكن بعد كل هذا ما زال بداخلي قوة لانتزاعك مني وحتى وإن كانت آخر نبضة من قلبي هي التي ستخرجك منه فأنا على أتم الاستعداد أن أموت فداء روح طاهرة منك على العيش مدنسة بك!

الرسالة الثانية والثلاثون

أمَّا بعدُ،

مرحبًا مجددًا، قد تركت العالم مرة أخرى وارتحلت فيك، دخلت صومعتي لأنفرد بك، أنا وأنت والفصحى ثالثتنا، تغار منها دائما لأنها تشاركك فيَّ، ولكن برغم غيرتك منها تتودد إليها لأنك تعلم يقينًا أنها الطريق الأوحد إلى قلبي، لتجلس أمامي مالئًا أنفاسي بعبق حروفك، وتضمني بين قصائدك لأشعر بأني في أكثر مكان آمن في العالم، هنا نتواجد بلا أسماء أو أصول أو صفات، هنا نتواجد كذكر وأنثى، كآدم وحواء والبشرية تأتي من بعدنا، غير مقيدين بعناء أي شيء قد يعكر صفو حبنا، حبنا الذي أنا فيه فصيحة وفي غيره بكماء، هنا محراب العشق البتول، هنا دفتر مذكراتي، لأغلقه على وعد بلقاءٍ قريب وكالعادة فقط أنا وأنت والفصحى تجمعنا في صفحة جديدة.

الرسالة الثالثة والثلاثون

أمَّا بعدُ،

فدعنا نفتح هذا المذياع العتيق ليعزف لحن قصتنا، وكعادتك تمتنع عن الكلام وكعادتي أفهمك بلا كلام، أدمنتُ صمتك وأدمنتَ صبري على صمتِك، طلبتني للرقص بعينيك فاستجبت لك، خلعتُ معطفي عديم الفائدة في وجودك، وجئت!

سيداتي سادتي ها قد حان الآن موعد "رقصة الأحزان"؛ فاستمتعوا بنهايتها المعروفة قبل البداية، تحيط مشاكلنا بخَصرِي وتُعانقُك الهموم، والدموع قد تولت أمر العزفِ على أوتار الحزن، والعِنادُ طرف ثالثُ خفيٌّ في هذه الرقصة، رقصةٌ أساسها التجانس الخيالي بيننا ولكن تَحَتَّم علينا تجاهله بناءً على رغبة الكبرياء الذي سلبنا حق الاستمتاع بها، كان اللحن صاخبًا بما فيه الكفاية كي يفجر ما نخفيه بداخلنا رغم ثباتنا الخارجي، رَقَصنا بكل ما فينا من قوة رَقَصنا بِعُنف كي نهزم كبرياءنا، ولكنه شرسٌ متمكن من كلينا

بِضراوة، وها هو يسقط أرضًا ما إن تلاقت أعيننا، عندها توقف الوقت وتوقفت الدموع عن العزف وكنت أنا وأنت فقط، كانت نظرةً تحمل معها كل أمان العالم، كانت نظرةً وكانت وعدًا، تَلتْها ابتسامةُ خجلٍ وإِيمَاءَةٌ للفرحة بتولي العزف واستئناف الوقت، لتنسحب المشكلات ويحل محلَها يدُك على خَصري لتنتهي رقصة الأحزان باختلافٍ، فقد انتهت هذه المرة بعِنَاق!

الرسالة الرابعة والثلاثون

أمَّا بعدُ،

فلستَ ماردًا ولكنك تُحقق كل أحلامي، لستَ ساحرًا ولكنك تتحكمُ بكلِ أقداري، أنت العامل المشترك!

لستُ طفلة ولكِنك تجعلُني أعيش براءتي، لستُ طيرًا ولكِنك تجعلُني أحلق، أنت حُريتي!

لستَ مطرًا ولكنك تَرويني، لستَ شمسًا ولكنك مصدرُ دِفئي، أنت الطبيعة وميزانها!

لستُ لاجئة ولكنك موطني، لستُ مرتحلة ولكنك مُستقَري، في ضياع، أنا بِدونِكَ.

لستَ أنتَ أنا ولستُ أنا أنتَ، ولكننا مُشتركان في كَوننا نحنُ.

الرسالة الخامسة والثلاثون

أمَّا بعدُ،

فاليوم يومنا، لو تعلمين كم طال انتظاري لهذا اللقاء، تركني النوم في الليلة الماضية لتيقنه بأني لن أعيره أي اهتمام ما دمتِ في بالي، بتُّ أتخيل ردود أفعالك لأبني أفعالي على أساسها، كنت كَمَن سيتحدث للمرة الأولى، من سيواجه العالم للمرة الأولى، لم تكن علميًّا المرة الأولى ولكن عمليًّا كانت، فما فائدة حديثي لثمانية وعشرين عامًا إن لم يكن معكِ!

حلَّ المساء واقترب اللقاء وتعالت الدقات، ارتديت حلتي السوداء فهو لونك المفضل على الإطلاق، بالغت في تعطري لعشقك المفرط للعطور، اهتممت بكل تفاصيلي أيتها المولعة بالتفاصيل، وبعد تجهيزات دامت لساعات صرتُ مستعدًا!

وفي طريقي إليكِ مررت بمتجر الورود وانتقيت باقة من الأقحوان الساحر مغلفة بغلاف أبيض يشبه قلبك الدافئ، ابتعت

أيضًا الشوكلاتة من النوع المفضل لكِ، وأصبحت جاهزًا بجميع نقاط ضعفك "أنا والورود والشوكولاتة".

انتظرت أمام منزلك بضع دقائق ولكنها مرت كالساعات، حتى رأيتك، وكنتِ مناسبة، وقد تبدو لك كلمة مناسبة قليلة جدًّا كإطراء ولكنك كنتِ جميلة بالقدر المناسب والمتناسب والأنسب، لم تحتاجي إلى المبالغة كيما تكوني أنت، ولم أحتجها أنا أيضًا لوصف طَلَّتكِ!

حينما اقتربت كنت أتمنى لو أرمي باقة الورود، فأين كان عقلي عندما فكرت في إهداء الورود لوردة! كيف أهنت الأقحوان بإهدائه لمن هي أجمل منه، لكن جمالك المتواضع أبدى إعجابه الشديد به!

أخذت يديك إلى مستوى فمي وطبعت عليها قبلة مليئة بالإجلال ورفعت وجهي سريعًا لأستمتع بوجنتيك اللتين تصبغتا بالحمرة من شدة الخجل، حينها ضحكتِ كعادتك لتغمريني وتصيبيني بالجنون من فرط حبك، عندها تيقنت بأنه ليس يومًا عاديًا بل هو يوم بكل أيام العمر.

الرسالة السادسة والثلاثون

أمَّا بعدُ،

فها هي السماء تتصبغ بالحمرة، تودع الشمس التي تدفس وجهها في حضن الليل، وأنا شاردةٌ أراقب هذا المشهد الحميمي من شرفتي منتظرةً عودتك، يقطع شرودي صوت الجرس، فأهرول كي أفتح لك بابي وذراعيَّ فأطفئ بهذا العناق قليلًا من نار شوقي التي لا تخمد، أهمس بجانب أذنك بصوتٍ حانٍ أني اشتقت إليك وإلى موسيقاك، فتُخدِّركَ الأولى وتحثُكَ على تنفيذ الثانية، فتجلس على الكرسي وأنا وراءك تمامًا، وما إن تبدأ أصابعك في الرقص بخفة على البيانو حينها تؤدي أصابعي الرقصة ذاتها على كتفيك، فتُريحُني ألحانُك وتريحُك لمساتِي، أسعدُ بالترانيم وتسعَدُ بسعادتي، وقبل أن تنتهي أقرر تغيير مكاني، فأقطع العزف للحظة حينما أرفع إحدى يديك كي تفسح لي مجالًا بالجلوس على ساقيك، وما إن أجلس وجهي لوجهك أعيدها كما كانت لتُكمل، فإني أعشق الموسيقا

وعينيك، فما بالك إن اجتمعتا! تتهدج أنفاسك وتزداد حماسة عزفك حتى تصل إلى النهاية المقطوعة فأسدل ستار عينيَّ كأننا على مسرح لتسرق مني قبلة خلف الكواليس، وتكون تلك القبلة هي جزئي المفضل في المشهد كله!

الرسالة السابعة والثلاثون

أمَّا بعدُ،

فما أسوأها خيبة الأمل! تلك الصفعة القوية التي تتلقاها في صمت، ويأتي كبرياؤك ليزيد الوجع بمنعك من البوح به، يضيق صدرك حينها ولا يسعك العالم أجمع، حينها تجحظ عيناك فترى بشكل أفضل، فغشاوة الحب قد أزيلت الآن، وتلك الإشارات التي كنت تتغاضى عنها باتت ساطعة كالشمس، تقف على جانب المشهد تسخر منكَ، فلو أنك طاوعتها وأعملت عقلك من البداية لما كنا هنا الآن، لكنك سلمت تفكيرك لذاك الغبي الذي لا نَسْلم من أخطائه، فأي سفينة هو ربانها فمصيرها الأعماق، وها أنت الآن غارق في حزنك، طوق نجاتك الوحيد هو أنت، فادفع بيمناك الخيبة واكبح بيسراك الحب حتى تنجو للشاطئ، قف وقطرات الحزن تتساقط عنك وسدد تلك الضربة لمن آذاك، فهل يُصفع المرء ولا يرد الصفعة!

الرسالة الثامنة والثلاثون

أمَّا بعدُ،

سحابٌ أبيضُ نقيٌّ والسين راء، ما أروعها حين تغازلها الشمس بأشعتها، تُصاحبك أينما كنت، تزرع بقلبك اليابس طمأنينةً بأنك كلما احتجتها ستنظر إلى السماء فتجدُها، كلما جردت روحك تُساقط عليك كلماتها كالغيث فتدُب فيكَ الحياة من جديد!

أيا عمرًا تزينت به أيامي والعين قاف، ويا هواءً لَمَّا نسَّم على حياتي هَويتُ، ويا حربًا انتشلتِني منها بانتزاع الراء، أيا راحتي وروحي!

كل عامٍ وأنتِ هنا؛ في قلبي!

الرسالة التاسعة والثلاثون

أمَّا بعدُ ،

وصلت مهرولة إلى محطة القطار، وبينما لم ألتقط أنفاسي بعد إذا بقطاري قد قرر مفارقتي ومضى قدمًا بدوني، وقفت أتأمله وهو يبتعد حتى أصبح نقطةً في الفضاء، فسرت أجر خيبة أملي، حتى وصلت لمقعد خالٍ أنتظر القطار التالي، أخرجت صديقي المفضلينِ من الحقيبة- هاتفي وسماعة الأذن- أستعين ببعض الموسيقا التي لا تكل ولا تمل من تغيير مزاجي إلى الأفضل، اخترت أغنية عشوائية وإذا بها إحدى مفضلاتي، كانت "بكرا شي نهار" فرفعت الصوت إلى الحد الأقصى وأغمضت عيني وتركت لها نفسي كي تحلق بها عاليًا!

إلى أن أفقت على صوتك تدندن مع جوليا غير مبالٍ بي، تجلس بجانبي كالمنتشي، تستند برأسك على ظهر المقعد، تنظر إلى السماء، وتغني كطائر يجمع الدنيا بين جناحيه!

حدثني صوت بداخلي "يا إلهي إنه نفس ذوقك الموسيقي لا بدَّ أن تتزوجيه"، فابتسمت لسذاجتي وتجاهلت هذا الصوت وتركت الأغنية وصرت أتأملك، تمنيت حينها لو أن مدتها يومان وليست ثلاث دقائق، إلى أن انتهت وانتهى معها ولهي، فانتبهت إلى حالتي وجمعت شتات روحي ثم جلست أنظر في هاتفي كأنني لم أكن معك في السماء منذ لحظات!

ثم داهمني صوتك مجددًا يعتذر مني عن مقاطعة خلوتي، قلت لنفسي "أيمكن أن يعتذر أحدهم عن كونه أجمل شيء حدث في اليوم!"، فابتسمت وأخبرتك أنه لا داعي للاعتذار، فقلتَ لي إنك تحب هذه الأغنية كثيرًا، فتمنيت وقتها لو كان اسمي " أغنية"!

تبادلنا أطراف الحديث الذي انساب منا كلآلئ عقد قطع للتو، حتى قاطعنا صوت وصول القطار التالي، فهممت الوقوف أستجمع حروف الوداع بصعوبة حتى أخبرتني أنه قطارك أيضًا، فشكرت الله سرًّا، وشكرت قطاري السابق لأنه رحل بدوني.

تركنا مقعد لقائنا وركبنا القطار لنكمل رحلتنا معًا، فربما لم تكن البداية موفقة ولكن النهاية حتمًا ستكون سعيدة!

الرسالة الأربعون

أمَّا بعدُ،

فقد كان الإثبات الفعلي للسحر، بوجهه المتصبغ بلون القمح الأصيل، بحبتي البندق اللتين تستقران أعلى خديه، وحينما تغازلهما الشمس بشعاعها تزدهران برونق لا مثيل له، بأنف منحوت بيد الأرستقراطية، وشفتين غليظتين تجلسان على عرش لحيته الداكنة.

كان مزيجًا من الجمال الإغريقي والذوق الغربي والروح الشرقية، كان هو، كان رجُلي.

الرسالة الحادية والأربعون

أمَّا بعدُ،

فقد كان دائمًا يغازل عيني بكل جراءة، وكنت دائمًا أقع في غرامه كل مرة كأنها أول مرة، وأعشق الأنثى التي بداخلي ولا يخاطبها غيره.

حين همس لي ذات مرة أن أحدثه عن أشياء لم أعها جيدًا فقد سافرت بي ذبذبات صوته إلى العالم الآخر ولم أفق سوى على لفظة "قبليني"، حينها سرى الدم بشراييني بسرعة تفوق سرعة الضوء وتسارعت كرات الدم لكي تصطف على وجنتي وارتخت عيناي كمن يتنهد حينما تخيلت للحظةٍ تلك القبلة.

وكعادته يحملني من سماء إلى أخرى أعلاها قاطع خيالي بجملة غزل أقسمت حينها أن الله قد عوضني به عن قسوة الأيام ومحى به ذلك الحزن من جبيني.

الرسالة الثانية والأربعون

أمَّا بعدُ،

فقد تحالفت الطبيعة مع وجعي وقررت أن تثور!

صرخت السماء بكل قوتها في رعدٍ كاسرٍ حتى أتمكن من الصراخ معها دون أن يميز أحد صوتي كي لا يُكسر كبريائي، هطلت أمطارها بغزارة لتأذن لسيول نحيبي بالانهمار، هبت رياح عاتية لتبعثر كل ما يقابلها كما بُعثرت روحي وكينونتي، انفجر بركان الجزر البريطانية ليقدم للعالم حممًا أقل حرارة من نار قلبي المتقدة، ذبلت تباعات الشمس لغروب شمسي، تعكر لون السماء لما حل عليها من أبخرة احتراق جثماني الهامد بعدما فقدت روحي عقب فقدانك!

حل الظلام الأبدي على حياتي بعد رحيلك، بكل أنانية وجحود العالم تمنيت موتك على رحيلك، فالموت قدر والرحيل قرار، أقلها كان القدر سيصبح عزائي، ولكن ما عزائي الآن على قرارك!

تركتني محمومة بِحبك، كنت قد قلتها يومًا ما "إما أنا وإما الموت يا عزيزي" ولكنني لم أكن أعلم أن أصل المقولة هي "إما أنت وإما الموت يا عزيزي "، موتٌ إكلينيكي أعيش فيه على أرض حزينة على حالي، قلبت موازينها تعاطفًا معي!

حل موسم الشتاء باكرًا، فكان السبب في كل هذا ولكنني نسبته إلى التضامن معي عزاءً لحالتي، موسم سيبقى فترة ثم يرحل، مثلك تمامًا، مثل وجعك، سترحل ويأتي بعدك ربيع حياتي، وتسترد معه الطبيعة عافيتها، وأسترد أنا بريقي وعنفواني وجنوني، فأوجع بكل ما فيك الآن أنا على أُهْبة الاستعداد للتحمل، حتى إذا ما انتهى فصلك لا تعكر صفو حياتي بتقلبات جوية لا معنى لها في مكان وزمان ليس لها!

الرسالة الثالثة والأربعون

أمَّا بعدُ،

فماذا لو أصبحنا نجومًا، لو اختصرنا الفلك في مدار يجمعُنا معًا لِنُنير كون العاشقين ليلًا، لِيَتلألأ ضوءُنا لمعةً في عيونٍ تشابكت نظراتُها الفائضةُ بنهرِ الشوق!

ماذا لو أصبحنا ألحانًا، لو عَزفنا مقطوعات الحب جميعَها لتداعب مسامع المُحبين وهم يتراقصون في لحظةٍ أقربُ إلى السِّحر، لِيَتكلم بلسانِنا من لا يَقدر على البَوح وهَربت كلماتُه من فرط قلقٍ يسبقُ لذةً شعوريةً لا يفوقُها شعور!

ماذا لو أصبحنا قصائد، لو عَبَّرنا عن أحاسيس لا توصف بكلماتٍ ذهبيةٍ مطبوعةٍ في قلوب المُغرمين، لِنُعمر ذكريات الماضي والحاضر والمستقبل كنهجٍ يسيرُ عليه مِن بعدنا المُتيمون، وعهدٍ موثوق أبدي يفي به الهائمون!

ماذا لو أصبحنا عاشقين، لو جَمعتنا ليلةٌ ملكيةٌ مكانها ضمةُ صدرِكَ وزمانُها لا نهائي، تُشاهدُنا نجومُ الليل وتكتبُ القصائدُ عنَّا على ألحانٍ تتعدى حدودَ الروعة، لِتتخلل يداك خصلات شعري وتصير على مسافةٍ تكفي لتختلط أنفاسُنا معًا، نظرُكَ مثبتٌ عليَّ يكشف أساريرك بنصف ابتسامة سحرية هامسًا "أحبكِ!".

ماذا لو توقف الزمان عند هذه اللحظة!

الرسالة الرابعة والأربعون

أمَّا بعدُ،

فعادة ما تنتهي الخطابات بنقطة، ولكن ما المانع من أن نبدأ من النقطة هذه المرة، أن نتقدم إلى الوراء وأن نسترجع المستقبل، كما لو كانت عقارب الساعة تدور بالعكس، لتستعيد شيخوخة علاقتنا شبابها، عَلَّنَا نتلافى تلك الأخطاء التي انتهت بنا هنا، أخطاءٌ كان آخرها تمسك كل منا برأيه في حين أن تنازلًا بالقدر البسيط من كلينا كان كافيًا، وثالثها عدم اهتمامك بي عندما ضمنت تملكي بالرغم من أنه كان من المفترض دفع ثمن هذا التملك بإظهار بعض الامتنان، وثانيها كانت عندما بالغت في حبي لك ومسامحتي لك باستمرار غافلة أن معشر الرجال لا يعترفون سوى بالمرأة التي تذيقهم بعض الإهانة، وأولها هي اعتقادنا بأننا مميزون بالقدر الكافي للتغاضي عن تلك الأخطاء التي ستأتي فيما بعد والحقيقة أن الحب هو السبيل الوحيد للتغاضي عنها وليس التميز، وها أنا ذا قد عرضت الأخطاء من النهاية للبداية، وفي نهاية كل جملة ستجد الحل، فهلا بدأت من النهاية فربما ننجح هذه المرة ببلوغ بداية خالدة!

الرسالة الخامسة والأربعون

أمَّا بعدُ،

فقد كان كل منَّا يسير في طريقه غير مبال بمن حوله حتى تقابلنا في تقاطع تلك الطرق وقررنا أن نوحدها لتصير طريقًا واحدة نسير في دربها معًا، كمن وجد توأم روحه وشبيه صفاته.

ونشكر القدر الذي كان في صفنا دومًا وجمعنا في مواقف أقل ما يقال عنها أنها خيالية، وأيضًا لم تبخل علينا الصدف ببعض اللمسات السحرية على قصتنا، وجدتك فوجدت الراحة التي قلَّما أعثر عليها، وأصبحت أبثها بداخلك لأكون راحتك من هذا العالم، صاحبتك فصاحبني كل ما هو جميل في الحياة، وصرت أعيش في دنياك -في دنيا الغرام- لأرى فيها معنى الجمال الحقيقي ما إن أرى عينيك.

طويل القامة تتأذى منك فقرات عنقي التي تعاني كي أتطلع إليك ولكنك سرعان ما تداويها بنظرة واحدة تتحكم بمعدلات

سعادتي، ومن غيرك يقدر يا ملك الكيمياء، تعشق الطعام الذي أعده لك بكل الحب كي أعبر عن امتناني لوجودك بجانبي.

أستحوذ على كامل اهتمامك ولكن بالطبع بعد الانتهاء من مشاهدة مباريات الدوري الإنجليزي، أتمنى لو تصطحبني ذات ليلة شتوية سماؤها صافية مطبوعة بصوت فيروز وتحاوطنا نسمات باردة مختلطة ببخار قهوتنا الساخنة لنعيش ليلة لا تنسى كما في تلك الروايات التي تحبها.

الرسالة السادسة والأربعون

أمَّا بعدُ،

فهل بإمكانك إخبار كل من يسألك "أين أنت؟"؛ إنك "داخل قلبي"، بإمكانك أيضًا تغيير محل الإقامة كتابع للإجابة، وعلى سبيل المقترحات تستطيع أن تغير المهنة "للمسؤول عن سعادتي"، ولا عليك من السجل المدني فوثيقة زواجنا كفيلة بإنهاء إجراءات هذه التغييرات.

الرسالة السابعة والأربعون

أمَّا بعدُ،

طبقًا لأسطورة قديمة كان هناك شعب يُدعى "الأمازون" شعب من النساء فقط، خُلق لنشر الحب والخير بين البشر، يُشعون بالطاقة الإيجابية ولا يعلمون شيئًا عن الكره والحقد والشر، كانوا المعنى المثالي للجمال أو كما قال أحد الصوفيين يومًا: "من ظن أنه قد رأى الجمال فإنه لم يركِ بعد" وبعد بحث طويل توصلت لأنك أمازونية يا عزيزتي، أنتِ تفوقين الجمال جمالًا، أنتِ خير مثال على الأرستقراطية، خُلقتِ لتطييب جروح الآخرين، تحضرين لحظة الاحتياج المناسبة لتكوني عوضًا عن قسوة الأيام، أنتِ جنةٌ على الأرض، أنتِ ضمة الاحتواء، أنتِ إكسير الحياة!

الرسالة الثامنة والأربعون

أمَّا بعدُ،

فحسنًا سأستسلم للقدر الذي حرمك إياي وأتقبل حقيقة فشلي في امتلاك قلبك، ولكنني سأحتفظ بك في دفاتري وأحتضنك بين كلماتي، سأحول حبي لك إلى قصائد مصبوغة بلوعة الشوق وكلمات مبهمة لا يقدر على فهمها سواك سأقسم على عذرية قلبي فما خلق الله بعدك من رجال، سأحيا بروح موصومة بك إلى الأبد!

ولكن، سيمحي غروري كل هذا ما إن نظرت إليك فشيمتي الشموخ ولو على تحطيم قلبي، سيكون التعجب من حالتي حليفك والحيرة من أمري أعز أصدقائك، فإن فشلت في امتلاكك فلن أفشل أبدًا في تسييد كبريائي عليك!

الرسالة التاسعة والأربعون

أمَّا بعدُ،

فإن أمتع ما في الأمر أنك جئت في اللحظة الأخيرة، كنت المناسب أيضاً والأنسب، ولم يكن ليصلح أحد غيرك ليشفي جروح قلبي التي كادت تذيبه، جعلتني أدرك حلاوة النجاة بعد الغرق، ولكنك أنقذتني من غرق لغرق، أغرقتني فيك، مزجتني بك، كوَّنتي منك، وأنسبتني إليك، عندما تقول لي إنك تحبني وتنتظر ردي وأقابلك بالصمت فأنا أصمت خجلًا من أن أختصر حبي لك في أربعة أحرف، فحُبك يحتاج إلى لغة كاملة مؤلفة خصيصة لوصفه، وعندما تدعوني ب "مولاتي" أمتنع عن مناداتك بلقب "مولاي" لأن الملوك قد يُثار عليهم من قِبل رعيتهم أما أنا فخاضعة لك حتى آخر نفس يخرج مني، حتى أموت وأنا بين ذراعيك وحبي لك يصعد مع روحي إلى السماء ليتضرع إلى الله أن تكون رفيقه في الجنة، أن تكون أنت جنته.

الرسالة الخمسون

أمَّا بعدُ،

فقد سألني أحدهم ذات يومٍ "من أنت؟"، أنا صوت بلا صدى، ووردة بلا ندى، أنا فرحة يكسوها الحزن، أنا كيل بلا وزن، أنا طريق إلى الهاوية، أنا جسد بروح خاوية، أنا مشكلة بلا حل، وعقدة لا تنحل، أنا المُمْتهن بالبكاء، أنا أرض بلا سماء، أنا لحن بلا آلات، وبكاء بغير آهات، أنا الناقص في المُكتَمِل، أنا الشك في المُحتَمَل، أنا من لا يكترث لأمري أحد، أنا القبر بدون لَحَدْ!

طردت كل هذه الأفكار واختصرت إجابتي قائلًا: "أنا اللاشيء".

الرسالة الحادية والخمسون

أمَّا بعدُ،

سألتني قائلة: ماذا جاء بِكَ إلى هنا؟

فأجبتها: جرّني اشتياقي إليكِ فلا حُكم لي على نفسي في سطو استبداده، فلولاه والله لكنتُ أتيتُ أيضاً، فما حاجة لي بعالم لستِ تلامسين ليالِيه، وتنثرين بها سحرك، فتتحوّلُ الأحلامُ حقيقةً، وكل الأحلامِ أنتِ، أيا كعكتي المُحلاة، قد استطبتُ علقَم الأيام بوجودكِ، ثم إنني أُريدكِ هنا وبشدة حينَ أغفو وحينَ أصحو وحينَ كل حينٍ، أستحلفُكِ بالله ألّا تتركيني، وأن تعلمي جيداً أن الذي أتى بي إلى هُنا أنني عاشقٌ، والعاشقُ لا يُبرر ولا يخضع للمنطق، بل هو يعشق فقط.

الرسالة الثانية والخمسون

أمَّا بعدُ،

فهل من الضروري أن تستيقظ بهذا الكم من الجمال كل صباح! أم لا بدَّ أن تأسرني عيناك اللامعتان إذا ما كشفت عنها جفونك كما يكشف المحار عن لؤلؤته! هل يجب أن يذوب قلبي ما إن سمع صوتك المغمغم الذي يغلبه النعاس، أو هل لخصلات شعرك المبعثرة يدٌ في إيقاعي في عشقك! تساؤلات تعجبية أطرحها كل يوم أستيقظ فيه بجانبك متعمدة الهدوء لأتأمل فيك لبضع سنين، ولكنني لا أجد إجابة سوى أن الله وظف كل تفاصيلك لتخطف أنفاسي في كل مرة أراك فيها، لتتلخص الحياة فيك، فلتكن أنت لأكون أنا.

الرسالة الثالثة والخمسون

أمَّا بعدُ،

فيا حبيبي، أنا الآن بصدد محاولة جديدة لانتزاعك مني لا أعلم أستلحق بشبيهاتها من المحاولات التي باءت بالفشل أم سأستطيع النجاح هذه المرة! وقد قدمت الفشل على النجاح في ذكر الاختيارات لأنه أكثر احتمالية، فأنت أصبحت إدمانًا يشكل خطرًا على حياتي وبالأخص على كبريائي ويجب الإقلاع عنه، وها قد بدأت أعراض الانسحاب بالظهور عليَّ؛ انفجار يدمر عقلي وضمور يجتاح قلبي وحمى أصبت بالهلوسة على إثرها، وأعلم أن رحلة شفائي منك طويلة ودامية ولكنني على يقين بأنها الاختيار الصائب لحياةٍ صحية خالية من الأوجاع، ترى هل سأنجح أم سأتعرض لانتكاسة ما إن أرى عينيك وأعود إلى نقطة البداية من جديد ألا وهي أنك "حبيبي".

الرسالة الرابعة والخمسون

أمَّا بعدُ،

فيحكى أن قصيرة قامةٍ استطاعت الوصول إلى أعلى درجات الحب في قلبي، أنثى مليئة بالطموح الجامح الذي لو اجتمع العالم على أن يمنعها عن مرادها لاجتاحته بقوتها الكاسرة، طفلةٌ خلق الجمال من عينيها واتسمت بها البراءة وخرجت السعادة من بين شفتيها وتربعت حُمرة الخجل على خديها، صديقة تمثل معنى الأمان وسط ضجيج الحياة تستطيع الاعتماد عليها بلا أي شك في أن تخذلك وتملك قدرة سحرية على تحويل الحزن الذي بداخلك إلى فرحة غامرة وإن تملك منك الإحباط فلا تقلق لأن بإمكانها أن تضيء شعلة شغفك من جديد، جميلة هي كـليلة باريسية يداعب نسماتها صوت فرانك الذي لو كان قد رآها حتمًا لكان اختارها لتطير إلى القمر معه!

الرسالة الخامسة والخمسون

أمَّا بعد،

فإني أشعر بالفخر في كل مرة تخبرني فيها بأني قد زرت أحلامك، هذا يثبت سكني المسبق لعقلك الباطن، عقلك الذي رفض جميع النساء واختارني، واختيار العقل يا عزيزي في اعتقادي أصدق بكثير من اختيار القلب، حتى وإن اختلف الكثيرون معي، فالقلب يختار كل ما هو جميل، أما العقل فيختار كل ما هو مناسب، والتناسب يدوم، والحب الدائم أعظم من الحب المؤقت، وفي حال اجتمع القلب والعقل على اختيار واحد فهذا هو الحب الحقيقي، كحبي لك!

الرسالة السادسة والخمسون

أمَّا بعدُ،

أهلاً بك تسري داخلي، ربما علينا تسجيل براءة اختراع لهذا الشعور الذي تتركه بي، فنحن من اكتشفناه، لم نطلق عليه اسماً بعد، ولكن دعني أصفه لك، هو شعور أقوى من الحب، فالحب يحتمل الفراق أما هو ف لا، أثبت تلك الصفة بمحاولاتنا التي لا تُعد ولا تحصى، كي نترك ما بيننا ونرحل، لكنه في كل مرة يُعيدنا، صفته الثانية أنه لا يقبل الفشل ويكره اليأس، فهو مقاتل عنيف لم تستطع إحدى لحظات ضعفنا أن تهزمه، وأما عن صفته الثالثة فهي المفضلة على الإطلاق بالنسبة لي، إنه لا يعتري القلب فقط بل يقصد الروح، فروحي أنتَ روحُهَا ولا حياة لها بدونكَ، وآخر صفاته أنه يجعل المعني ومضاده على وفاق، فأنت ألمي وأملي، دائي ودوائي، حربي وحبي، هو ليس حباً بالتأكيد بل ما هو أعمق بكثير منه ..!

تُرى أأوجدناه نحنُ أم هو من أوجدنا؟

الرسالة السابعة والخمسون

أمَّا بعدُ،

فإننا نعيش في فوضى عارمة من المترادفات والتناقضات، يظل المرء منا طوال حياته يبحث عن شبيه روحه ظانًّا أنه مصدر الراحة ولا يعلم أن العملة يجب أن تكون ذات وجهين مختلفين، أحيانًا نجد أن المعنى لا يشبه مرادفه بل يشبه نقيضه، وفي تلك الأحيان إن جمعتهما يكتمل اللغز، لذلك أطالب الفلاسفة أن يضعوا قانونًا ينص على أن "الاختلاف هو مفتاح الاتفاق"، فلتختلف معي لتكون مُكملي، فليتمسك كل منا بأشيائه المحببة ويُعلم الآخر كيف يهيم بها شغفًا مثله، فلتكن هدوئي عندما أتذمر، ولتكن راحتي عندما أتعب، فلتكن آدم ولأكن حواءك!

الرسالة الثامنة والخمسون

أمَّا بعدُ،

لعشق الأوغاد لذة من ذاقها أدمنها ومن لم يذقها يشتهيها، نحن معشر النساء نفضل ذلك الذي يقتحم عالمنا عنوة عن من يطلب الإذن للدخول، لا تستهوينا قصص الحب الهادئة، نفضل المتعة على الإستقرار، فمن تعشق وغداً يعلم جيداً من أين تؤكل السمكة أو بمعنى أصح من أين تُعشق الأنثى، ستحصل على قسط وافر من تلك المتعة الواهية، كان لأشرار القصص دوماً مكاناً في قلوبنا دون الإلتفات للأبطال ذوي الخصال الحسنة، لكننا أحياناً نلتفت لهم ولكن بعد أن يلدغنا سم الأشرار، نبحث فيهم عن العلاج والاستقرار الذي لفظناه منذ قليل، ربما النساء هُنّ الأوغاد الحقيقيون لأنهم يردن كل شيء، إذن فالأوغاد للأوغاد وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ..!

الرسالة التاسعة والخمسون

أمَّا بعدُ،

فوحدها الموسيقا القادرة على تحرير روحي، تجعلني كفراشة في مقتبل الربيع، تأخذني إلى عالم الأساطير حيث لا شيء سوى الفن والجمال والرومانسية، تخرج أنوثتي لألبس فستان أحلامي وأتراقص على أنغامها، تغازل مسامعي بألحانها وتطرب قلبي فرحًا، تتربع على عرش نقاط ضعفي، تجعلني فريسة سهلة لمن يحاول كسب قلبي، تعبر عن ما لا أستطيع البوح به، وتمثل وسيلة للإفصاح عن مشاعري، فاعلم إن أهديتك إحدى مقطوعاتي المفضلة أنك الأقرب إلى قلبي كقربها...❤

الرسالة الستون

أمَّا بعد،

فقد اشتقت!

اشتقت وشقيت ما إن تركتني، كفتاة بدون حجابها، كعصفور بدون عشه، كصغير بدون أمه، إن جمعت ثلاثة الأشياء فهذه أنا بدونك؛ فالحجاب جزء لا يتجزأ من الفتاة وإن انفصل عنها أصبحت كالعارية، والعش هو موطن العصفور الذي يكون غريبًا إن رحل عنه، والأم هي معنى الأمان الوحيد بالنسبة إلى صغيرها فإن تركته شعر بالخوف الأبدي، سقطت أرضًا أمام حرب اشتياقي إليك، أصبت قلبي بسهم رحيلك تاركًا خلفك جرحًا غائرًا ترياقه الوحيد هو أنت، حولت المرأة الفولاذية التي انتصرت على الجميع بكبريائها وكونت مملكةً حصينةً من قلوب العاشقين تتربع على عرشها بلا أي رحمة إلى أسيرة ضعيفة هزمها عشقها لك، وأصبحت أنتظرك خاضعة ومستسلمة لأسلمك مقاليد حكم مملكتي؛

فاقْبلني وقَابلني وقَبِّلني، واستمتع بتملك تلك العنيدة المتمردة التي لم ولن تخضع لغيرك لتخمد بقبولك نار شوقي التي نهشت بنيان روحي وتُعيد ترميم قلبي النابض باسمك. ❤

الرسالة الحادية والستون

أمَّا بعدُ،

فعندما فكرت في تخصيص عمري بالإضافة لم أجد أنسب منك لهذه المهمة فأصبحت "حب عمري"، كيف لا ولم يقدر أحد على عبور حدود قلبي المنيعة غيرك، استطعت أن تكون سبب نبضه كي يعيش الدهر غارقًا في حبك، كنت لي "نيل أرمسترونج" أول من يضع قدميه على سطح قلبي، فجابهتك أنا بانعدام توازنك عليه، أخطأت فرحلت أنت للحفاظ على سلامتك، وصار قلبي مهجورًا يتوجع على فراقك، فهلا عُدت إليَّ يا ساكني لتعيدني إلى الحياة، وأعدك بخرق قوانين الطبيعة وأمنحك ضعف جاذبية الأرض لتعمر قلبي وتستوطنه؛ لنعيش أنا وأنت فقط بعيدًا عن صخب الكون، فقط عُد إلي!

الرسالة الثانية والستون

أمَّا بعدُ،

فقد كنتُ أنا المتمرد العاصي حتى أخضعتني ابتسامتك، كنت أنا الضائع الهائم حتى أرشدتني عيناك، كنت أنا المذنب الجاني حتى برأني صوتك، كنت جبل سيئات فجئت لتكون الحسنة التي أدخلتني الجنة، كنت لحنًا مبعثرًا حتى نَظَّمْتَنِي كمقطوعة لبيتهوفن، كنت وطنًا محتلًا حتى هتفت بحريتي وأعلنت انجلاء زمن الظلم، كنت رئةً بلا أكسجين فجئت لتكون أول شهيقٍ تختبر به، كنت رواية بلا عنوان حتى جئت فأصبح عنوانها "أنت". ❤

الرسالة الثالثة والستون

أمَّا بعدُ،

فقد كنت أسير في طريق لا أعلم نهايته، أعيش بفتور لا أهتم بما حولي، لا أكترث بالأيام التي تمضي، لا يوجد ما يميز حياتي، وفجأة ظهرتَ، ومن سواك كان قادرًا على انتشالي من هذا الضياع، كما لو خلقك الله عز وجل سببًا لسعادتي، فكانت فصول سنيني خريفًا حتى أتيت جالبًا معك الربيع الأبدي لعمري، غرقت في بحر حبك بمحض إرادتي ورفضت طوق نجاتي، أصبحت أتمناك روتينًا لن أمل منه ما دمت حية، فقط أريد أنا أستفيق كل صباح على عينيك التي أتمنى لو أمتلك زورقًا للإبحار فيها، أن أستمتع بموسيقا ضحكاتك التي تضيق بها عيناك ويتسع لي معها العالم بأكمله، أن أمتلكك بكل أنانية العالم.

هل تعلم يا عزيزي أن الفيزياء علمتنا أنه لا شيء يفوق سرعة الضوء ولكنني مؤخرًا اكتشفت أن الدم يسري في شراييني أسرع من الضوء عندما تقول لي "أحبك صغيرتي!"!

فهلا تقولها مجددًا لأرى إن كان اكتشافي صحيحًا أم لا؟

الرسالة الرابعة والستون

أمَّا بعدُ،

ففي كل مرة أظن أنني نجحت في نسيانك وانتزاعك مني تأتي لتثبت العكس بل وتثبت أني أعشقك كل يوم أكثر من ذي قبل حتى أنك وصلت حد الإدمان، إدمان أتمنى ألا أشفى منه أبدًا، حتى وإن ثار على المجتمع واجتمعوا على زجِّي في مصحة لأتعافى، فلتكن هذه المصحة بين ذراعيك، فأنت دائي ودوائي، قلبك قلعتي التي أحتمي بها من غربة العالم، عيناك ترياقي الوحيد القادر على إعادتي إلى الحياة، صوتك أجراس الميلاد التي تعلن انتهاء كل ما هو سيئ وبداية أمنيات وأحلام عامٍ جديد، حبك معصيتي التي كلما دعوت الله أن يبعدني عنها ارتكبتها أكثر، لأظل أحبك حتى آخر نبضة تخرج من هذا القلب المتيم بك! ♥

الرسالة الخامسة والستون

أمَّا بعدُ،

فجالسة أنا في شرفتي أحتسي مشروبي المفضل هائمة في كيفية رجوعي في قراراتي بفضلك، أقول سأفعل هذا وذاك وأرتب أفكاري كي أثبت على موقف، لتأتي أنت جالبًا معك الانهيار لكل هذه المخططات بدون أن تبذل أي مجهود، فقط نبرة صوتك كفيلة بإنهاء هذه المسألة، تجعلني أشعر بالانتصار في الحنين إليك، أتلذذ بالخضوع لسلطة حبك، أتباهى بكسر قوانين الكبرياء، فقط لتضمني، لأكون هنا -بين ذراعيك- هنا وطني وموطني ومستوطنتي، أستكين فتسري موجات العشق في شراييني، لأقر بأني أنثاك، التي يكفيها أن تكون لها، لتكون لك هي عشيقة أبدية في عالم لم يعرف الأبدية في الحب.

الرسالة السادسة والستون

أمَّا بعدُ،

فليس من بَعدِك بَعدٌ، ولا في بُعدِك سعدٌ، ككفيفٍ سليم العينين يأبى أن يرى، فما الإبصار إن لم يَكن رؤياك، وما الحياة إن لم يُلطفها صَباك!

أرفقت بهذا الخطاب أسطوانة بها لحني المفضل الذي ينقصه فقط أن تخرجه من صومعته ليحتضنه الجرامافون الخاص بك مثلما ستفعل بي إن كُنتُ معك نستمع إليه معًا، حينها سيتحرش بأذنيك مما يدفع قدميك على الحِراك وأنا بين ذراعيك، ثم يعلو اللحن فأتركك أنا لأدور وأدور كطفلة في العاشرة من عمرها فتذوب وتقع في عشقي ألف مرة إلى أن تلتَقِطَني من جديد فأضحك وأتوارى عن ناظريك فتنسى اللحن وتتساءل لِم لا تكون ضحكتي على الأسطوانة بدلًا منه؟

وأخيرًا وليس له آخِر أود أن أخبرك أن ذاكرتي قد أُصيبت بخللٍ ما في الأبجدية فكلما لفظت "أُحبك" أنسى أنني ذكرتها وأود أن أقولها من جديد حتى اللانهاية!

أُحبك!

الرسالة السابعة والستون

أمَّا بعدُ،

فماذا عن القبلة الأولى؟

كانت هدوءًا للعالم وهيجاء لنا، كما لو أنها حرب القوي، تلك التي تدمر وتعمر، بدايتها كانت رفعٌ لرايتها البيضاء بعد أن سحقتها الرغبة، حينها رمتْ الكرة بملعبي وأنا أتوق لتسجيل ذلك الهدف مُذ رأيتها، كان ثغرها لهبًا ينادي حطَّابه، فأخذت رأسها بين راحتيَّ وتركتهما لتغوصا في خصلاتها الحريرية، التفتُّ أنا لعينيها لأضمن وقوعها في الوكر، وبينما أنا ضائع فيهما لعقتْ شفتها السفلية كمن تكشف عن نبيذٍ أحمرَ عتيق دامٍ يختبئ وراء تلك الشفة ينتظرني لأنتهله، فبدأت في تذوقها ثم التهامها فلعنَتِني بثغرها فصرت راهبًا فيه، فإن كان هو أو الحياة فيشرفني أن أكون انتحاريًا وأسقط ميتًا على شفتيها!

الرسالة الثامنة والستون

أمَّا بعدُ،

فهل حدث وأن عانقت أحدهم وأنت كاشف عن عينيك؟ ربما حدثت ذات مرة ولكنني أقسم أنه لم يكن عناقًا حقيقيًا، فللعناق أصول كما للزيجات؛ إن أخل أحد بأصولها فشلت، وإن خالف أحدهم أصول العناق بات بلا معنى.

وجب عليك إن عانقت أن تغلق عينيك، فالعناق ما هو إلا وسيلة للهرب إلى العالم الآخر، تُرى هل يمكنك أن تكون بعالمين في آن واحد؟ أغلقها كي تتسنى لك الفرصة ولو للحظات معدودة بأن تكون أنت ومن تحب بعيدًا عن بشاعة هذا العالم، حيث لا يزيف الناس مشاعرهم، هناك يحبون فقط، يخلصون فقط، يعانقون فقط.

أيضًا احرص على إحكام الضمة، اجعله يشعر أنك متمسك به بقدر ما تُحكم قبضتك عليه، ففي الإحكام أمان، وليس هناك ما هو أجمل من شعور الأمان، فالأمان هو المرادف الحقيقي للحب عند الكثيرين.

ولا تنسَ أن تستنشق رحيق رفيقك وهو بين عضُدَيْكَ، فلحاسة الشم ذاكرة أيضًا تجعلك قادرًا على استحضار شعورك بتلك اللحظة، فتعانقه في خيالك كلما نثرت ذلك العطر حولك.

وما إن تنتهي فعليك بعينيه، انظر مباشرة فيهما كي تجني ثمار اتباعك الخطوات السابقة عندما تخبرك بأن صاحبها يحبك ويتمنى لو طال ذاك العناق حتى ينتهي الأبد!

الرسالة التاسعة والستون

أمَّا بعدُ،

كانت سمائي يتيمةً بلا طيورٍ حتى رفرفت عليها، فاستوقَفتْها حالتُها التي يرثى لها، استفزَها ما بها من بؤسٍ، فهي عاشقةٌ للفن وتحترف نشره، فلم تقدر فرشاتُها أن ترى لوحتي فارغة، وبرغم براعتها في رسم لوحات الحياوات، لم تعلم أنها فقط ما ينقصُ تلك اللوحة، وأنها مهما أضافت إليها من ألوان لن تضفي عليها بهجةً كتلك التي تنبع من ضحكتِها، وأن أقصى طموح تلك اللوحة وصاحبها أن تنظرَ إليها وتعلقَها على جدران منزلها تحديدًا في غرفتها قُبالة سريرها لتتأملها كل ليلة في أثناء نومها وتكونَ أول ما تراه عندما تداعبُ الشمس عينيها، وأنها إن أرادت أن ترسمَ عليها شيئًا فلتكتفِ برسم ألفٍ بعدها حاء يليها باء تنتهي بكافٍ مكسورة، فتنطق لها اللوحة "أحبكِ" في كل مرة تقع عيناها عليها!

الرسالة السبعون

أمَّا بعدُ،

فحين نرفض الواقع ونعيش فيه، حين نكفر بالقدر ونصدق على اختياراته، حين ينفي فعلُنا ردَّه، نكون كذرة تراب تحملها الرياح وتضعها أينما شاءت، لك أن تتخيل حينها مقدار الضياع الذي تشعر به تلك الذرة، لكنه مهما بلغ لن يكون بمقدار ضياعي في وجودك أو غيابك، أتألم في الحالتين، أتساءل هل يمكن للقاتل أن يرثي ضحيته!

في كل حكاية حب يتقمص الواقع شخصية أحدهم ويظفر الخيال بالآخر، ولسوء حظي كنتُ مغريةً أكثر للواقع، عندها أخبرني بأنه لن يسمح لنا بأن نكمل تلك الحكاية وأن كل سطر تخطُه أنتَ وخيالك يا عزيزي ليس إلا مماطلة لتفادي الوجع المحتوم، كان الواقع باطشًا ولكنه صادق، فلم أجد حلًّا إلا أن أخبئ الحبر منك وأمنعك أن تنبش بحرف آخر، دفعتك عني دون تعليل، وبقيت مع ما تبقى من بقاياك، تلك التي منها روايتنا غير المكتملة أقرؤها كل

ليلة بعد أذكار المساء ومع طلعة كل شمس بعد أذكار الصباح فتلك أذكار عشقي سأعكف عليها إلى مماتي!

الرسالة الحادية والسبعون

أمَّا بعدُ،

فإني أقعُ فيكَ كل مرةٍ بطريقةٍ مختلفة، تأتيني اليوم شخصٌ والغد آخر، وأقعُ أنا في حب جميعِكَ، هل لأنكَ محترفٌ في إتقان ثغراتي، أم لأنني أرى السيئ منكَ جيدًا!

ربما لأنني أحببتُ مساوئك قبلَ أن أنخرط بكَ، ندباتُكَ هي ما جعلتْكَ جميلًا في عيني، ربما لأنني وجدتُ سكوني في تلك العتمة التي تقبع بروحك، صراعاتُكَ هي الصخب الرقيق الذي أحتاجُ إليه حين أنجز أشيائي!

ربما لأنكَ مزيجٌ من المتقابلات التي أهواها، تُطلق سراحي حين تُحكم قبضتك علي، تَجعلُ الاستبدادَ فنًّا أنا من عُشاقه، تنالُ مني في المبارزة بسيف اللسان وتقنعني بأن الخاسر هو الأحق بالاحتفال، تقتربُ مني أكثر في كل مرة تقرر فيها أن تبتعد!

ربما لأنني أعلم أنكَ تحبني رغم زماننا ومكاننا، أو على الأغلب لأنني سأحبك دومًا بغض النظر عن كل ما ذكرته أعلاه!

الرسالة الثانية والسبعون

أمَّا بعدُ،

إن الشمسَ حارقةٌ جداً اليوم، تشبه أنثى مشتاطة بنار الغيرة على حبيبها من تلك السمراء التي تغازله بكل خبث، القذيفة منها قد تسبب حرقاً من الدرجة الثالثة، وتلك السمراء تستحق أن تتلقى أربعيناً منها، لتشوهها هي وجميع أشباهها.

بعد قليلٍ هدأت الشمس واختفت شيئاً فشيئاً وراء الغيوم، أكان هذا خجلاً ؟ أم أن قمرها قد اشتاق إليها فأخذها بعيداً عن أعيننا لتكون له وحده؟، في الحالتين كانت تشبه نفس الأنثى في سكونها حينما ضمّها حبيبها دون أن يتحدث، ضمةً تعني أنه سيختارها على الدوام من بين نساء العالم.

الآن قد غابت الشمس تماماً وحل الظلام، فيما عدا ذاك القرص المضيء بعيداً يتربع على عرش السماء بشموخ، ينظر له الجميع

بإعجاب، يشبه حبيب تلك الأنثى حينما هزم حبه لها غيرتها، وانتصر في أكثرِ معارك النساء شراسةً، فالفخر حقٌ مكتسبٌ له الآن.

*الغيرة نارٌ في قلوب جميع النساء ستُطفأ فقط إن كفت الشمس عن الشروق .

ملحوظة: أنا الشمس .

الرسالة الثالثة والسبعون

أمَّا بعدُ،

لم أحُبكَ من تلقاء نفسي، فقد كنت جاهلة بهذا المدعو الحب، أو بمعنى أصح كانت لدى بعض المفاهيم الخاطئة عنه، حتي أتيت، أدركت ماهيته على يديك، أخذت بيدي كطفلة صغيرة تختبر خطواتها للمرة الأولى، تعثرنا سوياً ووقفنا أيضاً، كان حبك الوجهة وكنتَ الرفيق، استبدلت بلطفٍ الخاطيء من مفاهيمي بصوابٍ جميل، كان أهمها أن الحب ليس صاخباً، تفاصيله ليست بالغزيرة، إنما هو أقرب للوداعة، دانٍ للهدوء، يتغذى على الحنان، وصَفيٌ للسلاسة، لم تستخدم سحرك كاملاً في البداية، وإنما نثرت قطراته على أيامي واحدة تلو الأخرى، خط مستوى انبهاري بك كان ثابتاً على التدريج، علمتنى أن جمال الحب في دوامِه، وأن اللهفة هي حطب موقده، علمتني بعملية وجعلتني أختبر الدروس معك قبل أن أُقرها، فهنيئاً لك على خريجة مدرسة حُبك بامتياز، وهنيئاً لي عليك.

الرسالة الرابعة والسبعون

أمَّا بعد،

فقد مرت ثلاثة وأصبحنا ثلاثة!

مرت ثلاثة وما زالت شرارة حبنا متقدة كما البداية، فأنت البداية وأنت النهاية ومن القدر كنت أنت أجمل الهدايا.

مرت ثلاثة وأنا أقع فيك كل يوم فأظن أنني وصلت إلى أعماق العشق فيأتي الغد فأرى أن للعمق عمقًا وأنا أعشق الغوص خاصةً إن كان فيك.

مرت ثلاثة وأنا أحُبك وسأظل أحُبك حتى الثلاثين وما بعد!

الرسالة الخامسة والسبعون

أمَّا بعدُ،

فهذا خطابٌ سريعٌ لكِ...

أنتِ الفُتونُ والفُتونُ أنتِ، تعمدتُ أن أخلق جملة تكونين أولها وآخرها، فأنت تعلمين كم أعشق ضمَّ الجمل فانتهزت تلك الفرصة لأحتويكِ خلسةً في صورة جملة، أردت أن أكتب أيضًا أن من عدل فقهاء اللغة أن جعلوا الجمال مذكرًا، فلو كان مؤنثًا لكان أنتِ وحدك، ويصبح الأسف نصيب بقية نساء العالم، أضيف أيضًا أن بإمكان الأطباء استخدام ابتسامتك كمخدر فإما أن تفقدَ وعيك مباشرة على إثرها أو سيرهقك إعجابك بها فتنام على الفور، وأختم خطابي بأن حُبكِ هو جميع أحوالي فإن كنت مُتعبًا منطفئًا مهزومًا أو لا شيء أحبكِ، وإن كنت فَرِحًا متوهجًا مرموقًا أو أعظم شيء أحبكِ، فلم يعد سؤال "كيف حالك؟" يشكل عبئًا بل يتيح لي الحفاظ عليكِ كفريضة!

الرسالة السادسة والسبعون

أمَّا بعدُ،

فلا يُلام الإنسان على أفعاله فقط بل أيضًا على ما لم يفعل، حينما صمت عندما وجب عليه الكلام، وأفلت في الوقت الذي تحتم فيه الإحكام، سواءً كان قصدًا أو سهوًا، فأما إن كان متعمدًا فقد سمح لآفة "ليتَ" بأن تقتحم حياته، تلك التي لا تهدأ ولا ترحم حتى تغلق باب راحة البال إلى الأبد، وعلى النقيض إن كان غافلًا أو اسمحوا لي أن أقول غبيًّا فقد خان كياسته أولًا ثم سمح للقدر أو لغيره بالتحكم في عجلة القيادة ثانيًا وهذا أدهى وأفدح.

لا يُلام الإنسان على أخطائه فقط بل أيضًا على ما لم يخطئ به، فالأخطاء سلاح ذو حدين، وحدُّها الثالث يجعله أقوى مما كان عليه قبل الإقدام عليها، تجعله أصلح للوقوع في خطأ آخر، فالحياة متخفية في هيئة عثرات، لن تمضي بها وتنتقل للعثرة الثانية حتى ترتكب الأولى وتنجح بالخروج منها، فمن لم يخطئ لم يعش.

وأخيرًا ، لا يُترك الإنسان بلا لوم، أينما ذهب وكيفما فعل فهو مُلام، فاترك اللوم جانبًا يا عزيزي ومزِّق خطابي هذا بعد أن تَعِيه والتفت لقلبك، افعل ما يُمليه عليك دون أن تُغفِل عقلك، وازنهما وارتحل فلا خوف عليك الآن!

الرسالة السابعة والسبعون

أمَّا بعدُ،

فقد انتابني بعض الفضول حول تعريف الحب، فقررت الكتابة عنه، وكعادتي أستجدى حروفي الموسيقية، لكن هذه المرة وجدت الإجابة فيها قبل أن أخط كلمة واحدة، فأتت كوكب الشرق لتخبرني بأن الحب "وصال ودلال ورضا وخصام"، فبدأت بالوصال وهو اجتماع المحب بحبيبه فحب ألف سنة في الغياب لا يعادل لحظة لقاء واحدة، وأتبعت الوصال بالدلال فبعد اللقاء يأتي التغنج والغبطة التي لا يسعها صدرك، فدلالك على حبيبك أفضل ما قد تختبره يومًا، ثم أردفت بالرضا، لتقر بأن الحب ارتضاء بشخصك حبيبًا ورفيقًا وعالمًا صغيرًا يخصك وحدك بداخل العالم، ثم أنهت بالخصام الذي سيأتي حتمًا ولكن جعلته مهمشًا لن يطول، فالمحب لا يهون والجدال تنهيه العيون!

كانت شاملة موجزة وعظيمة، ينقصها فقط الأمان لتكتمل اللوحة فما إن أطمئن وأسكن إليك فكل ما بعد ذلك يسير.

الرسالة الثامنة والسبعون

أمَّا بعدُ،

فدعني أخبرك يا صديق كيف تعامل ألطف من خلق الله!

بدايةً أخبرها أنك تحبها، امدح جميع إطلالاتها، كن فخورًا بأتفه إنجازاتها "ملحوظة: لا تتصنع الفخر لأنها ستعلم"، افتح لها باب السيارة، اسحب لها كرسيًّا للجلوس، اطلب يدها لرقصة، اهدها وردة، اكتب إليها رسالة غزل، ابتع لها عطرك المفضل، كن حنونًا، احتوها في غضبها فلن يكلفك الأمر سوى ضمة، إياك وإطالة الخصام، إياك والخصام من الأصل، كن أمانها، ثق بها، صارحها بكل شيء، اجعلها تضحك دائمًا، شاهد معها شروق الشمس على البحر، اعشقها، لا تر سواها، ادعمها دائمًا، كن لها، استثنها واجعلها ترى ذلك الاستثناء، احفظ تفاصيلها، تذكر تواريخكما المهمة، قبل يدها ثم أخبرها أنك تحبها!

الرسالة التاسعة والسبعون

أمَّا بعدُ،

فمساء الخير!

قهوة ليست معك، وحروف ليست لك، فلم عساه يكون خيرًا!

متماسكة تأبى الخضوع إلى شوقها، هذا أنا بالنسبة إليك، أما بالنسبة إلى قلبك فأنا مهترئة يكويني حنيني، ذلك اللعين الذي يرى داخلي ويستجديني كي آتي، فأبتسم فيذوب ثم ننسى هذه الفوضى التي تعترينا، فللمرة الألف نحاول وللمرة الألف نفشل.

"متأنق للجميع وعارٍ تمامًا أمامك" تلك الكلمات لم تفارقني من اللحظة التي أخبرتني بها فيها، لا تبدو الأمثل في الرومانسية ولكنها بالتأكيد استثنائية بالقدر الكافي لاستحواذها على لقب أجمل ما قيل لي يومًا.

أكتب عنك الآن لا إليك، أستعيد جميع الذكريات وراء كلمة "أتعلمين" أقر بأنني مشتاقة لكنني لن ألفظها، ممتنة لكل "أحبك"

قيلت بغير صيغتها، وأعلم أن هذا الخطاب الذي لن أرسله لن يفيد سوى أن يزيد الدموع التي نذرفها في قطيعتنا، ولكن حتى وإن كانت قطيعة رؤية أو حديث فحتمًا لا تشمل الحروف، فسأظل ملهمتك الوحيدة وإن أنكرت وستظل محرك عاطفة قلمي الأوحد دون أن أنكر، فلن نلتقي أبدًا يا عزيزي ولكننا لن نفترق.

تُرى هل نحاول للمرة الألف وواحد!

الرسالة الثمانون

أمَّا بعدُ،

أفيعقل أن يكون للصوت رائحة!

عندما يتسرسب من بين لثم من الفراولة الموسمية صنع، فتعانق رائحتها الكلمات قبل خروجها، حينها فقط يكون للصوت رائحة، كان صوتها آخر الليل راحتي من مشقة يوم طال بدونها، كانت أنفاسها حينما اقتربت منها بمثابة نفخة الروح الأبدية لجسدي، وجدت بها وجدًا أوجدني وأجادني وجادني، أخبرتها في أول لقاء لنا أنني من اليوم سأنتسب لها وأكتمل بها وأسكن إليها ولن أكتفي منها حتى نشيب معًا، أريدها معي قلبًا وقالبًا حتى إن غابت أجد عزائي في قلبها وأخمد به نار شوقي حتى تعود، كانت تتلاعب بين الهدوء والإعصار، تتعطر برائحة الخمر المسكر، تجعلني عبدًا لجمالها، تقاتل بلا رحمة، وتنتصر بكل عنفوان، تقتلني بقبلة وتحييني بأخرى،

فالرحمة يا سيدتي جئت أطلبها بعد ما أسرت في معركتك التي دخلتها بمحض إرادتي بلا ندم بل بشوق، فإن عاد بي الزمن سأكررها ألف مرة!